توحيدهم نوعان قولي وفعـــلي كلا نوعيه ذو برهان
فالأول القولي ذو نوعين أيـــضاً في كتاب الله موجودان
إحداهما سلب وذا نوعان أيـــضاً في كتاب الله مذكوران
سلب النقائص والعيوب جميعها عنه هما نوعان معقولان
سلب لمتصل ومنفصل هما نوعان معروفان أما الثاني

شرع الناظم رحمه الله في بيـان توحيد الأنبياء والمرسلين ، وذكر أنه نوعان ، قولي ، وفعلي . ثم ذكر أن القولي نوعان أيضاً في القرآن أحدهما : سلب وهو نوعان أيضاً : سلب النقـــائص والعيوب ، وهو نوعان أيضاً أحدهما : سلب النقائص والعيوب المتصلة ، والثاني : سلب النقائص والعيوب المنفصلة . وأشار بقوله : أما الثاني الى سلب النقائص والعيوب المنفصلة ، فقال .

سلب الشريك مع الظهير مع الـــشفيع بدون إذن المالك الديان

وهذا كما في قوله تعالى (قل ادعوا الذي زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) سبأ : ٢٢ ، ٢٣ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وكذاك سلب الزوج والولد الذي نسبوا اليه عابدو الصلبان
وكذاك نفي الكفء أيضاً والولي لنا سوى الرحمن ذي الغفران

اي : ومن العيوب المنفصلة سلب الزوج عنه تعالى ، والولد . أما نفي الزوج والولد ، ففي قوله تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولم تكن له صاحبة) الأنعام : ١٠١ ونفي الولد ، كما في قوله تعالى :

(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) الآية التوبة : ٣٠
وقال تعالى: (ولم يكن له كفواً أحد) الاخلاص: ١ وأما نفي الولي ففي قوله تعالى:
(أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي . . .) الشورى : ٩ .

ثم أشار الناظم الى سلب النقائص والعيوب المتصلة بقوله :

والأول التنزيه للرحمن عن وصف العيوب وكل ذي نقصان
كالموت والإعياء والتعب الذي ينفي اقتدار الخالق المنان
والنوم والسنة التي هي أصله وعزوب شيء عنه في الأكوان
وكذلك العبث الذى تنفيه حكـ ـمته وحمد الله ذي الاتقان
وكذاك ترك الخلق إهمالاً سدى لايبعثون الى معاد ثان
كلا ولا أمر ولا نهي عليـ ـهم من إله قادر ديان
وكذاك ظلم عباده وهو الغني فماله والظلم للانسان
وكذاك غفلته تعالى وهو علاّم الغيوب فظاهر البطلان
وكذلك النسيان جل إلهنا لايعتريه قط من نسيان
وكذاك حاجته الى طعم ورز ق وهو رزاق بلا حسبان

وذلك ظاهر في كتاب الله تعالى . أما سلب الموت ففي قوله تعالى :
(وتوكل على الحي الذي لايموت ...) الفرقان : ٥٨ الآية . وأما الإعياء ،
والتعب ، ففي قوله (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام
وما مسنا من لغوب) فاطر : ٣٥ وهو التعب والاعياء . وأما النوم والسنة
ففي قوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ والعبث كما في قوله

تعالى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لاترجعون) المؤمنون : ١١٥ واما ترك الخلق هملا ففي قوله تعالى : (أيحسب الانسان أن يترك سدى) القيامة : ٣٦ وأما نفي الظلم ففي قوله تعالى : (إن الله لا يظلم الناس شيئاً) يونس : ١١٥ الآية وفي قوله تعالى: (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) النساء : ٤٠ وأما نفي النسيان والغفلة ففي قوله تعالى (وما كان ربك نسياً) مريم : ٦٤ وأما نفي الطعم ففي قوله تعالى : (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم) الأنعام : ١٤ وفي قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات : ٥٦ - ٥٨ .

ثم أشار الناظم إلى النوع الثاني من نوعي السلب فقال :

هذا وثاني نوعي السلب الذي هو أول الأنواع في الأوزان

أي : في قوله في اول الفصل إحداهما : سلب وذا نوعان . فذكر الأول ، وهو سلب النقائص والعيوب ، ثم ذكر الثاني بقوله : هذا وثاني نوعي السلب الخ . . .

تنزيه أوصاف الكمال له عن التشبيه والتمثيل والنكران

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا ان المشبه عابد الأوثان

كلا ولا نخليه من أوصافه إن المعطل عابد البهتان

من مثّل الله العظيم بخلقه فهو النسيب لمشرك نصراني

أو عطل الرحمن من أوصافه فهو الكفور وليس ذا إيمان

هذا هو الثاني من نوعي السلب ، وهو تنزيه صفات الرب تعالى التي

وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله عن التشبيه والتمثيل ، وعن التحريف والتعطيل ، بل ثبتت إثباتاً بلا تشبيه ، وينزه تنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال نعيم ابن حمـــاد الخزاعي : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ماوصف الله به نفسه ، ولا مـاوصفه رسوله به تشبيهاً .

قوله: فهو النسيب الخ . قال في « القاموس » النسب ، والنسبة بالكسر: القرابة ، والمناسبة : المشاكلة . انتهى . والمراد هنا المشاكلة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول ، وهو الثبوت

أي : من نوعي التوحيد القولي الذي ذكره أول الفصل

هذا ومن توحيدهم إثبات أو ... صاف الكمال لربنا الرحمن

كعلوه سبحانه فوق السمـــوات العلى بل فوق كل مكان

فهو العليّ بذاته سبحانه ... إذ يستحيل خلاف ذا ببيان

وهو الذي حقاً على العرش استوى ... قد قـــام بالتدبير للأكوان

حي مريد قادر متكلم ... ذو رحمة وإرادة وحنان

هو أول هو آخر هو ظاهر ... هو باطن هي أربع بوزان

ماقبله شيء كذا مابعده شيء تعالى الله ذو السلطان
مافوقه شيء كذا مادونه شيء وذا تفسير ذي البرهان
فانظر إلى تفسيره بتدبر وتبصر وتعقل لمعان
وانظر إلى مافيه من أنواع معـرفة لخالقنا العظيم الشان
وهو العلي فكل أنواع العلـوّله فثابتة له بلا نكران

تقدم الكلام على معاني هذه الأبيات .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو العظيم بكل معنى يوجب التعظيم لايحصيه من إنسان
وهو الجليل فكل أوصاف الجلا ل له محققة بلا بطلان
وهو الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربها أولى وأجدر عند ذي العرفان
فجماله بالذات والأوصاف والأفعال والأسماء بالبرهان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذه الفصول كثيراً من أسماء الرب سبحانه ، وقد أفرد العلماء للكلام على معانيها مصنفات معروفة ، ككتاب «الكلام على أسماء الله الحسنى» للناظم و « الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » للشيخ أبي عبد الله القرطبي ، والإمام أبي حامد الغزالي ، و « شرح الأسماء الحسنى » للحليمي ، و « شرح أسماء الله الحسنى » لأبي حكيم ابن برجان ، و « شرح أسماء الله الحسنى » للحافظ أبي بكر البيهقي ، وغيرهم .

لاشيء يشبه ذاته وصفاته سبحانه عن إفك ذي البهتان
وهو المجيد صفاته أوصاف تعظيم فشأن الوصف أعظم شان
وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداني
وهو البصير يرى دبيب النملة الـ ـسوداء تحت الصخر والصوان
ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عروق بياضها بعيان
ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان
وهو العليم أحاط علماً بالذي في الكون من سر ومن اعلان
وبكل شيء علمه سبحانه فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غداً وما قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان كيـ ـف يكون ذاك الأمر ذا إمكان

فصل

وهو الحميد فكل حمد واقع أو كان مفروضاً مدى الأزمان
ملأ الوجود جميعه ونظيره من غير ما عدّ ولا حسبان
هو أهله سبحانه وبحمده كل المحامد وصف ذي الاحسان

قال الناظم رحمه الله في « بدائع الفوائد » تنبيهات : الاول : مايجري صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسام : أحدهـا : مايرجع الى نفس الذات ؛ كقولك : ذات ، ووجود ، وشيء . الثاني : مايرجع الى صفـات معنوية ، كالعليم ، والقدير ، والسميع ، والبصير . الثالث : مايرجع الى أفعاله ، نحو الخالق ، والرازق . الرابع : مـايرجع الى التنزيه المحض ، ولا بد من تضمنه ثبوتاً ، اذ لا كمال في العدم المحض ، كالقدوس ، السلام . الخامس : مادل على جملة أوصاف عديدة لاتختص بصفة معينة ، بل هو دال على معان ، نحو المجيد ، العظيم ، الصمد ، فان المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ، ولفظه يدل على هذا ، فانه موضوع للسعة ، والكثرة ، والزيادة . ومنه قولهم : في كل شجرة نار ، واستمجد المرخ ، والعفار ، وأمجد النـاقة علفاً . ومنه : رب العرش المجيد ، لسعة العرش ، وعظمته . والعظيم : من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال ، وكذلك الصمد . السادس : صفة تحصل من اقتراب أحـد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على مفرديهما ، نحو الغني ، العفو ، القدير ، الحميد ، المجيد ، ونحو ذلك ، فان الغني من صفات الكمال ، والحمد كذلك ، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه ، وثنـاء من حمده ، وثناء من اجتماعهما ، وكذلك نظائرها . وأما صفات السلب المحض ، فلا تدخل في أوصافه تعالى ، الا أن تكون متضمنة لثبوت ، كالأحد المتضمن لسلامته من كل نقص ، وبراءته من كل مايضاد كماله ، وكذلك الاخبار عنه بالسلوب ، إنما هو لتضمنها ثبوتاً ، كقوله تعالى : (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ فانه متضمن لكمال حياته وقيوميته ، وكذلك قوله (وما مسنا من لغوب) فاطر : ٣٥ متضمن لكمال قدرته ، وكذلك قوله (وما يعزب عن ربك من مثقـــال ذرة في

الأرض ولا في السماء) يونس : ٦١ متضمن لكمال علمه ، ونظائر ذلك .
الثاني : يجب أن يعلم مايدخل في باب الاخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته ، كالشيء ، والموجود ، والقائم بنفسه ، فان هذا يخبر به عنه ، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلى. الثالث : أسماؤه الحسنى أعلام وأوصاف ، فالوصف فيها لاينافي العلمية ، وهذا بخلاف أوصاف العباد، ثم إن الاسم من أسمائه له دلالات : دلالة على الذات ، والصفة بالمطابقة ، ودلالة على احداهما بالتضمن ، ودلالة على الصفة الأخرى بالزوم ، ولأسمائه الحسنى اعتباران : أحدهما : من حيث الذات . والثاني: من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة ، وبالاعتبار الثاني متباينة . انتهى كلامه . وهو كلام نفيس جداً ، آثرت نقله لنفاسته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

وهو المكلم عبده موسى بتكـــليم الخطاب وقبله الأبوان
كلماته جلّت عن الاحصاء والتـــعداد بل عن حصر ذي الحسبان
لو أن أشجار البلاد جميعها الـــأقلام تكتبها بكل بنان
والبحر تلقى فيه سبعة أبحر لكتابة الكلمات كل زمان
نفدت ولم تنفد بها كلماته ليس الكلام من الاله بفان

وهو القدير وليس يعجزه اذا ... مارام شيئاً قط ذو سلطان
وهو القوي له القوى جمعاً تعـ ... ـالى رب ذي الأكوان والأزمان
وهو الغني بذاته فغناه ذا ... تيٌ له كالجود والاحسان
وهو العزيز فلن يرام جنابه ... أنّى يرام جناب ذي السلطان؟!
وهو العزيز القاهر الغلاب لم ... يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه ... فالعز حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه ... من كل وجه عادم النقصان

قد شرح الناظم رحمه الله جميع هذه الأبيات في نفس النظم بما هو واضح.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهو الحكيم وذاك من أوصافه ... نوعان أيضاً ما هما عدمان
حكم وأحكام فكل منهما ... نوعان أيضاً ثابتا البرهان
والحكم شرعي وكوني ولا ... يتلازمان وما هما سيان
بل ذاك يوجد دون هذا مفرداً ... والعكس أيضاً ثم يجتمعان
لن يخلو المربوب من إحداهما ... أو منهما بل ليس ينتفيان
لكنما الشرعي محبوب له ... أبداً ولن يخلو من الأكوان
هو أمره الديني جاءت رسله ... بقيامه في سائر الأزمان
لكنما الكوني فهو قضاؤه ... في خلقه بالعدل والإحسان

هو كله حق وعدل ذو رضى والشأن في المقضي كل الشان

فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط المقضي حين يكون بالعصيان

فالله يرضى بالقضاء ويسخط المقضي ما الأمران متحدان

فقضاؤه صفة به قامت وما المقضي الا صنعة الإنسان

والكون محبوب ومبغوض له وكلاهما بمشيئة الرحمن

هذا البيان يزيل لبساً طالما هلكت عليه الناس كل زمان

ويحل ما قد عقّدوا بأصولهم وبحوثهم فافهمه فهم بيان

من وافق الكوني وافق سخطه أفلم يوافق طاعة الديان !؟

فلذاك لا يعدوه ذم أو فوا ت الحمد مع أجر ومع رضوان

وموافق الديني لا يعدوه أجـ ـر بل له عند الصواب اثنان

حاصل ماذكره الناظم في هذه الأبيات أن الحكيم من أوصافه سبحانه، وأن ذاك نوعان : أحدهما : حكم . والثاني : أحكام . ثم ذكر أن الحكم شرعي، وكوني، وأنهما لا يتلازمان، وهذا لا يتمشى على أصول من يجعل محبة الرب ورضاه ومشيئته واحدة ، فان من قال : كل ماشاءه الله تعالى وقضاه فقد أحبه ورضيه ، لا يحسن منه ولا عنده هـذا التفصيل ، كما لا يخفى . وأيضاً هذا إنما يصح عند من جعل القضاء غير المقضي ، والفعل غير المفعول، وهو مذهب السلف . وأما من لم يفرق بينهما ، فكيف يصح هذا عنده ؟!

قال الناظم في « شرح منازل السائرين »[1] إنما نشأ الاشكال من جعلهم

---

(١) وهو المعروف بـ « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » .

المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه بجعلهم الفعل نفس المفعول ، والقضاء عين المقضي ، فنشأ من ذلك إلزامهم بكونه تعالى راضياً محباً لذلك ، والتزم رضاهم به ، والذي يكشف هذه الغمة ، وينجي من هذه الورطة ، التفريق بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة ، فليسا واحداً ، ولا هما متلازمان ، بل قد يشاء ما لا يحبه ، ويحب ما لا يشاء كونه ، فالأول كمشيئته وجود إبليس وجنوده ، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون ، مع بغضه لبعضه . والثاني : كمحبة إيمان الكفار ، وطاعات الفجار ، وعدل الظالمين ، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء ذلك لوجد كله ، فانه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

فاذا تقرر هذا الأصل أن الفعل غير المفعول ، والقضاء غير المقضي ، وأن الله جل شأنه لم يأمر عباده بالرضى بكل ما خلقه وشاءه ، وقد زالت الشبهات ، وانحلت الاشكالات . إذا عرف هذا ، فالرضى بالقضاء الديني الشرعي واجب ، وهو أساس الاسلام ، وقاعدة الايمان ، فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ، ولا منازعة ، ولا معارضة ، ولا اعتراض . قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء : ٦٥ فأقسم تعالى أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه ، ويسلموا لحكمه ، وهذا حقيقة الرضى بحكمه ، فالتحكيم في مقام الاسلام ، وانتفاء الحرج في مقام الايمان ، والتسليم في مقام الإحسان . ومتى خالطت القلب بشاشة الايمان ، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين ، وحيي بروح الوحي ، وتمهدت طبيعته ، وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة ، وتلقى الاسلام بصدر منشرح ، فقد رضي كل الرضى بهذا القضاء المحبوب لله ورسوله . انتهى

وقد أحببت أن أذكر هنا الأبيات التي أظهرها بعض الزنادقة على لسان بعض أهل الذمة ، وبعض جواب شيخ الاسلام عنها ، وقد ذكرها الحافظ محمد ابن عبد الهادي في « مناقب الشيخ » وذكرها ابن السبكي فى « طبقاته » قال ابن السبكي في ترجمة الشيخ علاء الدين الباجي : ولما ظهر السؤال الذي أظهره بعض المعتزلة ، وكتم اسمه ، وجعله على لسان بعض أهل الذمة ، وهو :

أيا علماء الدين ذمّيُ دينكم ... تحيّر دلّوه بأوضح حجة

إذا ماقضى ربي بكفري بزعمكم ... ولم يرضهُ مني فما وجه حيلتي

دعاني وسد الباب عني فهل إلى ... دخولي سبيل بينوا لي قضيتي؟

قضا بضلالي ثم قال ارض بالقضا ... فما أنا راض بالذي فيه شقوتي

فإن كنت بالمقضي ياقوم راضياً ... فربي لا يرضى بشؤم شكيتي

وهل لي رضى ماليس يرضاه سيدي؟ ... فقد حرت دلوني على كشف حيرتي

إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة ... فهل أنا عاص في اتباع المشيئة

وهل لي اختيار أن أخالف حكمه ... فبالله فاشفوا بالبراهين علتي

قال : أجاب الشيخ علاء الدين الباجي الشافعي فقال :

أيا عالماً أبدى دلائل حيرة ... يروم اهتداء من أهَيْل فضيلة

لقد سرني أن كنت للحق طالباً ... عسى نفحة للحق من سحب رحمة

فبالحق نيل الحق فالجأ ببابه ... كأهل النهى واترك حبائل حيلة

قضى الله قدماً بالضلالة والهدى ... بقدرة فعال بأحكم حكمة

إذا العقل بل تحسينه بعض خلقه ... وليس على الخلاق حكم الخليقة

وأفعالنا من خلقه كذواتنا ... وما فيهما خلق لنا بالحقيقة

ولكنه أجرى على الخلق خلقه ... دليل على تلك الأمور القديمه

عرفنا به أهل السعادة والشقا ... كما شاءه فينا بمحض المشيئة

لباس أثواب جعلن أمارة ... على حالتي حب وسخط لرؤية

تصاريفه فينا تصاريف مالك ... سما عن سؤال الكيف والسببية

أمات وأحيى ثم صار معافيا ... وقبح تحسين العقول الضعيفة

فكن راضياً نفس القضاء ولاتكن ... بقضي كفر راضياً ذا خطيئة

وتكليفنا بالأمر والنهي قاطع ... بأعذارنا في يوم بعث البرية

فعبر بسد أو بفتح وعد عن ... ضلالة تشكيك بأوضح حجة

وقد بان وجه الأمر والنهي واضحاً ... ولاشك فيه بل ولا وهم شبهة

قلت : هذا الجواب مبني على إنكار التحسين والتقبيح العقليين ، كما هو مذهب الأشاعرة ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، وأهل الحديث ، وغيرهم .

وأجاب شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فقال :

سؤالك يا هذا سؤال معاند ... تخاصم رب العرش باري البرية

وهذا سؤال خاصم الملأ العلى ... قديماً به إبليس أصل البلية

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة ... هو الخوض في فعل الاله بعلة

فان جميع الكون أوجب فعله ... مشيئة رب العرش باري الخليقة

وذات إله الخلق واجبة بما ... لها من صفات واجبات قديمة

فقولك لمْ قد شاء مثل سؤال من ... يقول فلمْ قد كان في الأزلية؟

وذاك سؤال يبطل العقل وجهه ... وتحريمه قد جاء في كل شرعة

وفي الكون تخصيص كثير يدل من ... له نوع عقل أنه بارادة

وإصداره عن واحد بعد واحد ... أو القول بالتجويز رمية حيرة

ولا ريب في تعليق كل مسبب ... بما قبله من علة موجبية

بل الشأن في الاسباب أسباب ما ترى ... وإصدارها عن حكم محض المشيئة

وقولك لمْ شاء الاله هو الذي ... أزلّ عقول الخلق في قعر حفرة

فان المجوس القائلين بخالق ... لنفع ورب مبدع للمضرة

سؤالهمُ عن علة الشر أوقعت ... رؤوسهم[1] في شبهة المشوية

وإن ملاحيد الفلاسفة الألى ... يقولون بالفعل القديم بعلة

بغوا علة للكون بعد انعدامه ... فلم يجدوا ذا كم فضلوا بضلة

وإن مبادي الشر في كل أمة ... ذوي ملة ميمونة نبوية

بخوضهمُ في ذا كمُ صار شركهم ... وجاء دروس البينات لفترة

ويكفيك نقضاً أن ما قد سألته ... من العذر مردود لدى كل فطرة

---

(١) في الأصل : أوائلهم .

وهبك كففت اللوم عن كل كافر ... وكل غوي خارج عن محجة

فيلزمك الإعراض عن كل ظالم ... من الناس في نفس ومال وحرمة

فلا تغضبنْ يوماً على سافك دماً ... ولا سارق مالاً لصاحب فاقة

ولا شاتم عرضاً مصوناً وان علا ... ولا ناكح فرجاً على وجه غية

ولا قاطع للناس نهج سبيلهم ... ولا مفسد في الأرض من كل وجهة

ولا شاهد بالزور إفكاً وفرية ... ولا قاذف للمحصنات بريبة

ولا مهلك للحرث والنسل عامداً ... ولا حاكم للعالمين برشوة

وكف لسان اللوم عن كل مفسد ... ولا تأخذنْ ذا جرمة بعقوبة

وسهل سبيل الكاذبين تعمداً ... على ربهم من كل جاء بفرية

وهل في عقول الناس أو في طباعهم ... قبول لقول النذل ما وجه حيلتي

كآكل سم أوجب الموت أكله ... وكل بتقدير لرب البرية

فكفرك يا هذا كسم أكلته ... وتعذيب نار مثل جرعة غصة

ألست ترى في هذه الدار من جنى ... يعاقب إما بالقضا أو بشرعة؟!

ولا عذر للجاني بتقدير خالق ... كذلك في الأخرى بلا مثنوية

فان كنت ترجو أن تجاب بما عسى ... ينجّيك من نار الاله العظيمة

فدونك رب العرش فاقصده ضارعا ... مريداً لان يهديك نحو الحقيقة

وذلل قياد النفس للحق واسمعن ... ولا تعرضنْ عن فكرة مستقيمة

وما بان حق فلا تتركنه ... ولا تعص من يدعو لأقوام ريبة

وأما رضانا بالقضاء فإنما ... أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة

كسقم وفقر ثم ذل وغربة ... وما كان من سوء بدون جريمة

وأما الأفاعيل التي كرهت لنا ... فلا ترتضى مسخوطة لمشيئة

وقد قال قوم من أولي العلم لا رضى ... بفعل المعاصي والذنوب الكريهة

وقال فريق نرتضي بقضائه ... ولا نرتضي المقضي لأقبح خلة

وقال فريق نرتضي باضافة ... اليه وما فينا فنلقي بسخطة

فنرضى من الوجه الذي هو خلقه ... ونسخط من وجها كتساب بحيلة

وأطال رحمه الله تعالى، وهو جواب في غاية النفاسة، والوفاء بالمقصود، تركنا نقل جميعه اختصاراً.

قول الناظم: هذا البيان يزيل لبساً طالما هلكت عليه الناس الخ. أي: إن هذا الذي ذكره في هذه المسألة يزيل جميع الاشكالات فيها قوله.

أي: من وافق الحكم القدري الكوني، ووافق سخطة الله، إذ لم يوافق الحكم الديني الشرعي، فلا يعدوه أجر إن خطأ، أو أجران إن أصاب، والله أعلم.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فصل

والحكمة العليا على نوعين أيـــضاً حصلا بقواطع البرهان

إحداهما في خلقه سبحانه نوعان أيضاً ليس يفترقان
أحكام هذا الخلق إذ إيجادة في غاية الإحكام والاتقان
وصدوره من أجل غايات له وله عليها حمد كل لسان
والحكمة الأخرى فحكمة شرعه أيضاً وفيها ذلك الوصفان
غاياتها اللاتي حمدن وكونها في غاية الإتقان والإحسان

قال شيخ الاسلام رحمه الله لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان ، والأكثرون على التعليل والحكمة ، وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به ، أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضاً قولان، وهل يتسلسل الحكم ، أو لا يتسلسل؟ أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي؟ فيه أقوال . قال : احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل) المائدة - ٣٢ وقوله (كي لا يكون دولة) الحشر: ٦ وقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم) البقرة : ١٤٠ ونظائره ، لأنه تعالى حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة ، لقوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء : ١٠٦ والاجماع واقع على اشتمال الأفعال على الحكم والمصالح ، جوازاً عند أهل السنة ، ووجوباً عند المعتزلة ، فيفعل مايريد بحكمته ، والنافون للحكمة والعلة احتجوا أنه يلزم من قدم العلة قدم المعلول ، وهو محال ، ومن حدوثها افتقارها الى علة اخرى ، وأنه يلزم التسلسل . وقد أجاب الناظم وأطنب في كتابه « شرح منازل السائرين »[1] و « مفتاح السعادة » وغيرهما ، فما احتج به في « مفتاح دار السعادة » قوله

(١) هو « مدارج السالكين شرح منازل السائرين »

تعـــالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحـــات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) فدل على أن هـذا الحكم بشيء قبيح ، يتنزه الله عنه ، فأنكره من جهة قبحه في نفسه ، لا من جهة كونه أنه لايكون . ومن هذا إنكاره سبحانه على من جوز أن يترك عباده سدى ، لايأمرهم ولا ينهاهم ، ولا يثيبهم ولا يعـــاقبهم ، وأن هذا الحساب باطل ؛ والله يتعالى عنه لمنافاته لحكمته . فقال تعالى (أيحسب الانسان أن يترك سدى) القيامة : ٣٥ فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى ، إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه ، وأنه لايليق أن ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين . ومثله قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) المؤمنون: ١١٥ فنزه نفسه سبحانه ، وباعدها عن هذا الحسبان ، وأنه متعال عنه ، فلا يليق به لقبحه ومنافاته الحكمة ، ثم إنه رحمه الله بسط القول في ذلك بسطاً كثيراً لايحتمله هذا الموضع ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فصل

وهو الحيي فليس يفضح عبده ... عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يلقي عليه ستره ... فهو الستير وصاحب الغفران

وهو الحليم فلا يعاجل عبده ... بعقوبة ليتوب من عصيان

وهو العفو فعفوه وسع الورى ... لولاه غار الأرض بالسكان

وهو الصبور على أذى أعدائه ... شتموه بل نسبوه للبهتان

قالوا له ولد وليس يعيدنا ... شتماً وتكذيباً من الإنسان

هذا وذاك بسمعه وبعلمه ... لو شاء عاجلهم بكل هوان

لكن يعافيهم ويرزقهم وهم ... يؤذونه بالشرك والكفران

فصل

وهو الرقيب على الخواطر واللوا ... حظ كيف بالافعال بالاركان

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـــل بحفظهم من كل أمر عان

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة ... واللفظ عند مواقع الاحسان

فيريك عزته ويبدي لفظه ... والعبد في الغفلات عن ذا الشان

قوله : وهو اللطيف الخ . فسر الناظم اللطف في اوصافه سبحانه بنوعين من اللطف : أحدهما : إدراك أسرار الأمور بخبرة . والثاني : اللطف عند مواقع الاحسان ، وهذا معنى قول من فسر اللطف بأنه هو الذي يوصل اليك أربك في رفق . وقيل : هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية .

فصل

وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل يعطيهم بالرفق فوق أمان

وهو القريب وقربه المختص بالـــداعي وعابده على الايمان

وهو المجيب يقول من يدعو أجـــبه أنا المجيب لكل من ناداني

وهو المجيب لدعوة المضطر اذ يدعوه في سر وفي اعلان

وهو الجواد فجوده عم الوجـــود جميعه بالفضل والاحسان

وهو الجواد فلا يخيب سائلا ولو انه من أمة الكفران

وهو المغيث لكل مخلوقاته وكذا يجيب اغاثة اللهفان

قولـــه : وهو القريب وقربه المختص بالداعي وعابده على الايمان

يعني : أن القرب المذكور في قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) البقرة : ١٨٦ إن هذا القرب مختص بالداعي ، فهو سبحانه قريب ممن دعاه كما في « الصحيحين » عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر ، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير . فقال : « يأيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فانكم لاتدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً قريباً ، إن الذي تدعونه أقرب الى احدكم من عنق راحلته » . وكذلك قول صالح عليه السلام : (وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) فقوله قريب مجيب مقرون بالتوبة والاستغفار، أراد قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين اليه ، كما أنه رحيم ودود . وقد قرن القريب

يالمجيب . ومعلوم أنه لايقال : انه مجيب لكل موجود ، وانما الاجابة لمن سأله ودعاه

فصل

وهو الودود يحبهم ويحبه أحبابه والفضل للمنان
وهو الذي جعل المحبة في قلو بهم وجازاهم بحب ثان
هذا هو الاحسان حقا لامعا وضة ولا لتوقع الشكران
لكن يحب شكورهم وشكورهم لا لاحتياج منه للشكران
وهو الشكور فلن يضيع سعيهم لكن يضاعفه بلا حسبان
ما للعباد عليه حق واجب هو أوجب الاجر العظيم الشان
كلا ولا عمل لديه ضائع إن كان بالاخلاص والاحسان
ان عُذبوا فبعدله او نعموا فبفضله والحمد للمنان

قوله : وهو الودود . قال تعالى (وهو الغفور الودود) والبروج : ١٤ ؛ أي : بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين ، لايفضحهم بها ، بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه . قال مجاهد : الواد لأوليائه ، فهو فعول بمعنى فاعل . وقال ابن زيد : معنى الودود الرحيم . وقيل : الودود بمعنى المودود ؛ أي : يوده عباده الصالحون ويحبونه ، كذا قال الأزهري . قال : ويجوز أن يكون فعولا بمعنى فاعل ؛ أي : يكون محباً لهم . قال : وكلتا الصفتين مدح ، لأنه جل ذكره إن أحب عباده المطيعين ، فهو فضل منه ، وان أحبه عباده

العارفون ، فلما تقرر عندهم من كريم إحسانه ، قال ابن عباس : الودود الحبيب .

قوله : يحب شكورهم الخ الأول بفتح الشين اسم فاعل من شكر يشكر شكراً فهو شكور ، والثاني بضم الشين . مصدر

فصل

وهو الغفور فلو أتى بقرابها ... من غير شرك بل من العصيان
لأتاه بالغفران ملء قرابها ... سبحانه هو واسع الغفران
و كذلك التواب من أوصافه ... والتوب في أوصافه نوعان
إذن بتوبة عبده وقبولها ... بعد المتاب بمنة المنان

يشير الى الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة »

فصل

وهو الاله السيد الصمد الذي ... صمدت اليه الخلق بالاذعان

الكامل الاوصاف من كل الوجو ه كماله مافيه من نقصان

قال شيخ الاسلام في مسألة حسن إرادة الله تعالى . روينا من طريق غير واحد ، كعثمان بن سعيد الدرامي ، وأبي جعفر الطبري ، والبيهقي ، وغيرهم في تفسير علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى . (الصمد) قال : السيد الذي كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعالم الذي قد كمل في علمه ، والحليم الذي قد كمل في حلمه . وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله عز وجل هذه صفته ، لاتنبغي إلا له ، ليس له كفء وليس كمثله شيء ، سبحان الله الواحد القهار .

وكذلك القهار من أوصافه فالخلق مقهورون بالسلطان
لو لم يكن حياً عزيزاً قادراً ماكان من قهر ولا سلطان
وكذلك الجبار من أوصافه والجبر في أوصافه قسمان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه دان
والثاني جبر القهر بالعز الذي لاينبغي لسواه من انسان
وله مسمى ثالث وهو العلو فليس يدنو منه من انسان
من قولهم جبارة للنخلة العليا التي فاتت لكل بنان

قوله : والجبر في أوصافه قسمان . ذكر للجبر معنين في أوصاف الرب سبحانه : أحدهما : جبر الضعيف ، وكل قلب قد غدا الخ . ومنه

الحديث « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » والثاني جبر القهر بالعز الذي لاينبغي لسواه سبحانه .

قـــوله : وله مسمى ثالث وهو العلو. والمعنى : أنه لايدنو منه انسان ومنه قولهم : جبارة ، للنخلة العليا المرتفعة ، والله أعلم .

فصل

وهو الحسيب كفاية وحماية　　والحسب كافي العبد كل أوان

وهو الرشيد فقوله وفعاله　　رشد وربك مرشد الحيران

وكلاهما حق فهذا وصفه　　والفعل للارشاد ذاك الثاني

والعدل من أوصافه في فعله　　ومقاله والحكم بالميزان

فعلى الصراط المستقيم إلهنا　　قولا وفعلا ذاك في القرآن

تقدم الكلام على قـــوله تعالى (ان ربي على صراط مستقيم) في أوائل هذا النظم .

فصل

هذا ومن أوصافه القدوس ذو الـــتنزيه بالتعظيم للرحمـــن

وهو السلام على الحقيقة سالم　　من كل تمثيل ومن نقصان

والبر في أوصافه سبحانه هو كثرة الخيرات والاحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن مولى الجميل ودائم الاحسان
وكذلك الوهاب من أسمائه فانظر مواهبه مدى الازمان
اهل السموات العلى والارض عن تلك المواهب ليس ينفكان
وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في اوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بذين كليهما عدلا واحسانا من الرحمن
وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله نوعان ايضا ذان معروفان
رزق القلوب العلم والايمان والـــرزق المعد لهذه الابدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا رزاقه والفضل للمنان
والثاني سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكـــون من الحرام كلاهما رزقان
والله رازقه بهذا الاعتبا ر وليس بالاطلاق دون بيان

ذكر الناظم رحمه الله في هـــذه الأبيات أن الرزق نوعان : رزق القلوب ، العلم والايمان على يد عبده ورسوله محمد ﷺ ، والنوع الثاني :

الرزق المعد للأبدان ، والله تعالى هو رازقه ، لكنه يساق الى الأعضاء ، ويكون من الحلال والحرام ، والله رازقه بهذا الاعتبار ، وهذه المسألة قد اختلف فيها . فقيل : إن الحرام رزق ، و كل يستوفي رزقه حلالاً كان أو حراماً ، لحصول التغذي بها جميعاً ، غير أن العبد يستحق الذم والعقاب على أكل الحرام ، خلافاً للمعتزلة ، فانهم قـــالوا : الحرام ليس برزق ، وفسروه تارة بمملوك يأكله المالك ، وتارة بما لايمنـع عن الانتفاع به ، وذلك لايكون الا حلالاً ، فيلزمهم على التفسير الأول أن ماياً كله الدواب ليس برزق ، مع ظاهر قـــوله تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) هود:٦ فيكون مصادماً للقرآن ، لأنه يقتضي أن تكون كل دابة مرزوقة ، ولا ينفعهم زعمهم أن تسمية مايأكله الدواب رزقاً مبني على تشبيه بما هو مملوك الانسان فيأكله ، فيكون لفظ الرزق مجازاً عما تأكله الدواب ، فلا يلزم أن تكون كل دابة مرزوقة حقيقة ، لأنا نقول : هـذا التأويل مخالف لظاهر القرآن ، وهو خلاف المتعارف في اللغة ؛ فلا يصح ارتـكابه من غير ضرورة. ثم إن تفسيرهم الرزق بذلك ليس بمطرد ولا منعكس ، لدخول ملك الله تعالى ، وخروج رزق الدواب والعبيد والإماء يلزمهم أيضاً على الوجهين أن من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلاً ، وهو خلاف الاجماع الحاصل من الأمة قبل ظهور المعتزلة ، أن لا رازق الا الله ، وإن استحق العبد اللوم والذم على اكل الحرام ، والاضافة الى الله تعالى معتبرة في مفهوم الرزق ، و كل أحد مستوف رزق نفسه ، حلالاً كان أو حراماً ، ولا يتصور أن يأكل الانسان رزقه ، أو يأكل غير رزقه ، لأن ماقدر الله تعالى غذاء لشخص يجب أن يأكله ، ويمتنع أن يأكله غيره ، والله أعلم .

فصل

هذا ومن اوصافه القيوم والـــقيوم في أوصافه أمـــران
احداهما القيوم قام بنفسه والكون قام به هما الامران
فالاول استغناؤه عن غيره والفقر من كل اليه الثاني
والوصف بالقيوم ذو شان عظـــيم هكذا موصوفه أيضاً عظيم الشان
والحي يتلوه فأوصاف الكما ل هما لأفق سمائها قطبـان
فالحي والقيوم لن تتخلف الـــ اوصاف أصلا عنهما ببيان
هو قابض هو باسط هو خافظ هو رافع بـالعدل والميزان
وهو المعز لأهل طاعته وذا عز حقيقي بلا بطلان
وهو المذل لمن يشاء بذلة الـــدارين ذل شقاً وذل هوان
هو مانع معط فهذا فضله والمنع عين العدل للمنان
يعطي برحمته ويمنع من يشا ء بحكمة والله ذو سلطان

قـــوله : والقيوم في أوصافه أمران الخ ؛ أي : إن القيوم هو الذي قام بنفسه ، وقام به الكون ، فالأول : هو استغناؤه عن غيره ، والثاني : افتقار كل شيء اليه . قـــال المفسرون : (القيوم) القائم على كل نفس بما كسبت . وقيل : القائم بذاته المقيم لغيره . وقيل : القائم بتدبير خلقه وحفظه . وقيل : هو الذي لاينام . وقيل : الذي لابديل له . وقرأ جماعة

(القيام) بالألف . وروي ذلك عن عمر رضي الله عنه و (الحي) يتلوه (القيوم) فهما كما قال الناظم لأفق سمائها ؛ أي : الصفات قطبان ، فالصفات لا تتخلف عنهما كما مثل به من قوله : هو قابض هو باسط هو خافض الخ .

فصل

والنور من أسمائه ايضاً ومن ... اوصافه سبحان ذي البرهان

قال ابن مسعود كلاماً قد حكا ... ه الدارمي عنه بلا نكران

ماعنده ليل يكون ولانهـا ... ر قلت تحت الفلك يوجد ذان

نور السموات العلى من نوره ... والارض كيف النجم والقمران

من نور وجه الرب جل جلاله ... وكذا حكاه الحافظ الطبراني

فبه استنار العرش والكرسي مع ... سبع الطباق وسائر الاكوان

قال عبد الله بن مسعود : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه .

وكتابه نور كذلك شرعه ... نور كذا المبعوث بالفرقان

وكذلك الايمان في قلب الفتى ... نور على نور مع القرآن

وحجابه نور فلو كشف الحجا ... ب لأحرق السبحات للاكوان

تقدم حديث ابي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله لاينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل النهار قبل الليل ، وعمل الليل قبل النهار ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » رواه مسلم .

وإذا أتى للفصل يشرق نوره في الارض يوم قيامة الابدان

قال تعالى (واشرقت الأرض بنور ربها) الزمر : ٦٩ فاخبر أن الأرض يوم القيامة تشرق بنوره ، وهو نوره الذي نوره ، فانه سبحانه يأتي لفصل القضاء بين عباده ، وينصب كرسيه بالأرض ، فإذا جاء الله تعالى أشرقت الأرض ، وحق لها أن تشرق بنوره ، وعند المعطلة لايأتي ولا يجيء ، ولا له نور تشرق له الارض . كذا أفاده الناظم في كتاب « الصواعق »

وكذاك دار الرب جنات العلى نور تلألأ ليس ذا بطلان

والنور ذو نوعين مخلوق ووصـــف ماهما والله متحدان

وكذلك المخلوق ذو نوعين محـــسوس ومعقول هما شيئان

احذر تزل فتحت رجلك هوة كم قد هوى فيها على الازمان

من عابد بالجهل زلت رجله فهْي الى قعر الحضيض الداني

لاحت له أنوار آثار العبا دة ظنها الانوار للرحمـــن

فأتى بكل مصيبة وبلية ماشئت من شطح ومن هذيان

وكذا الحلولي الذي هو خدنه من هاهنا حقاً هما أخوان

ويقابل الرجلين ذو التعطيل والـــحجب الكثيفة ماهما سيان

ذافي كثافة طبعه وظلامه وبظلمة التعطيل هذا الثاني
والنور محجوب فلا هذا ولا هذا له من ظلمة يريان

قولـــه : احذر تزل فتحت رجلك هوة الخ

قال الناظم رحمه الله تعالى : في « شرح منازل السائرين » في شرح الدرجة الثالثة من منزلة العطش على قول صاحب « المنازل » ولا يعرج دونها على انتظار بعد كلام سبق : ولا سبيل لأحد قط في الدنيا الى مشاهدة الحق ولاوصوله الى شواهد الحق ، ومن زعم غير هذا فلغلبة الوهم عليه ، وحسن ظنه بترهات القوم وخيالاتهم . ولله در الشبلي حيث سئل عن المشاهدة فقـــال : من أين لنا مشاهدة الحق ؟ لنا شاهد الحق هذا ، وهو صاحب الشطحات المعروفة ، وهذا من أحسن كلامه وأبينه . وأراد بشاهد الحق مايغلب على القلوب الصادقة العارفة الصافية ، من ذكره ، ومحبته ، واجلاله وتعظيمه ، ووقاره بحيث يكون ذلك حاضراً فيها ، مشهوداً لها ، غير غائب عنها . ومن أشار الى غير ذلك فمغرور مخدوع ، وغايته أن يكون في حقارة صدقه ، وضعف تمييزه وعلمه . ولا ريب أن القلوب تشاهد أنواراً بحسب استعدادها ، تقوى تارة ، وتضعف أخرى ، ولكن تلك أنوار الاعمال ، والايمان ، ، والمعارف ، وصفاء البواطن والأسرار ، لأنها نور الذات المقدسة ، فان الجبل لم يثبت للسير من ذلك النور حتى تدكدك ، وخر الكليم صعقاً مع عدم تجليه له ، فما الظن بغيره ؟ ! فإياك ثم إياك وترهات القوم ، وخيالاتهم وأوهامهم ، فإنها عند العارفين أعظم من حجاب النفس وأحكامها ، فان المحجوب بنفسه معترف بأنه في ذلك الحجاب ، وصاحب هذه الخيالات والأوهام يرى أن الحقيقة قد تجلت له أنوارها ،

ولم يحصل ذلك لموسى بن عمران كليم الرحمن ، فحجاب هؤلاء أغلظ بلا شك من حجاب أولئك ، ولا يقرلنا بهذا إلا عارف قد أشرق في باطنه نور المحمدية ، فرأى ما الناس فيه ، وما أعز ذلك في الدنيا ، وما أغربه بين الخلق ، وبالله المستعان . انتهى كلامه .

وقـــوله : هوة . قال في « القاموس » الهوة كقوة : ما انهبط من الأرض أو الوهدة الغامضة منها ، كالهوانة ، كرمانة : انتهى :

قولـــه : والنور ذو نوعين الخ

قال الناظم في « الصواعق المرسلة » قد ورد النص . بتسمية الرب نوراً وبأن له نوراً مضافاً اليه ، وبأنه نور السموات والأرض ، وبأن حجابه نور ، فهذه أربعة انواع .

فالاول : يقال عليه سبحانه بالاطلاق ، فانه النور الهادي .

والثاني : يضاف اليه ، كما يضاف اليه حياته ، وسمعه ، وبصره ، وعزته وقدرته ، وعلمه . وتارة يضاف الى وجهه ، وتارة يضاف الى ذاته ، فالأول كقوله «أعوذ بنور وجهك» وقوله : « نور السموات والأرض من وجهه» والثاني كقوله تعالى : (وأشرقت الأرض بنور ربها .)الزمر: ٦٩ وقول ابن عباس : ذاك نوره الذي اذا تجلى به .

وقـــوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمر « وإن الله خلق خلقه في ظلمة ؛ ثم ألقى عليهم من نوره ... الحديث . والثالث : وهو اضافة نوره الى السموات والأرض ، كقوله تعالى (الله نور السموات والارض) النور : ٣٥ الرابع : كقوله : حجابه النور ، فهذا النور المضاف اليه يجيء على أحد الوجوه الاربعة . والنور الذي احتجب به سمي نوراً وناراً ، كما وقع التردد في لفظه في الحديث الصحيح ، حديث أبي موسى الاشعري ، وهو قـــوله

« حجابة النور والنار ، فان هذه النار هي نور ، وهي التي كلم الله كليمه موسى منها ، وهي نار صافية ، لها إشراق بلا احراق ، فالاقسام ثلاثة: إشراق بلا احراق ، كنور القمر ، وإحراق بلا إشراق ، وهي نار جهنم فانها سوداء محرقة لا تضيء ، وإشراق باحراق وهي هذه النار المضيئة ، وكذلك نور الشمس له الاشراق والاحراق ، فهذا في الأنوار المشهودة المخلوقة ، وحجاب الرب تبارك وتعالى نور ، وهو نار ، وهذه الأنواع كلها حقيقة بحسب مراتبها ، فنور وجهه حقيقة لامجاز ، واذا كان نور مخلوقاته كالشمس والقمر والنار حقيقة ، فكيف يكون نوره الذي نسبة الأنوار المخلوقة اليه أقل من نسبة سراج ضعيف ألى قرص الشمس ؟ ! فكيف لا يكون هذا النور حقيقة . انتهى كلامه .

فصل

وهو المقدم والمؤخر ذانك الـــصفان للأفعال تابعان
وهما صفات الذات أيضاً إذهما بالذات لا بالغير قائمتان
ولذاك قد غلط المقسم حين ظـــن صفاته نوعين مختلفان
إن لم يرد هذا ولكن قد أرا د قيامها بالفعل ذي الامكان
والفعل والمفعول شيء واحد عند المقسم ماهما شيئان
فلذاك وصف الفعل ليس لديه إ لا نسبة عدمية ببيـــان
فجميع اسماء الفعال لديه ليـــست قط ثابتة ذوات معان
موجودة لكن امور كلها نسب ترى عدمية الوجدان

هذا هو التعطيل للأفعال كالتـــعطيل للأوصاف بالميزان
فالحق أن الوصف ليس بمورد التـــقسيم هذا مقتضى الـــبرهان
بل مورد التقسيم ماقد قام بالـــذات التي للواحد الرحمن
فهما اذاً نوعـان أوصاف وأفـــعال فهذي قسمة التبيان
فالوصف بالافعال يستدعي قيا م الفعل بالموصوف بالبرهان
فالوصف بالمعنى سوى الافعال ما إن بين ذينك قط من فرقان
ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان
قامت بمن هي وصفه هذا محا ل غير معقول لذي الأذهان
وأتوا الى الاوصاف باسم الفعل قا لوا لم تقم بالواحد الديـان
فانظر اليهم أبطلوا الأصل الذي ردوا به أقوالهم بوزان
ان كان هذا ممكناً فكذاك قو ل خصومكم أيضاً فذو إمكان
والوصف بالتقديم والتأخير كو ني وديني وهما نوعـان
وكلاهما أمر حقيقي ونســـبي ولا يخفى المثال على أولي الأذهان
والله قدر ذاك أجمعه باحـــكام واتقان من الرحمن

قولـــه ولذلك قد غلط المقسم ؛ أي : إن الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والاشعرية قالوا: إن الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم ، ولنزد ذلك ايضاحاً فنقول : قـــال النسفي

رحمه الله في « عقائده المشهورة » والتكوين صفة لله أزلية ، وهو تكوينه للعالم ، وكل جزء من أجزائه ، وهو غير المكون عندنا . قال شارحها المحقق سعد الدين التفتازاني : التكوين : هو معنى المعبرعنه بالفعل ، والخلق والتخليق ، والايجاد ، والاحداث ، والاختراع ، ونحو ذلك ، ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود، صفة لله تعالى ،لإطباق العقل والنقل على أنه خالق للعالم ، مكون له ، وامتناع اطلاق اسم المشتق على الشيء ، من غير أن يكون مأخذ الاشتقاق وصفا قائماً به أزلية لوجوه :

الأول : أن يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى .

الثاني : أنه وصف ذاته في كلامه الأزلي بأنه الخالق ، فلو لم يكن في الأزل خالقا للزم الكذب ، أو العدول الى المجاز ؛ أي : الخالق فيما يستقبل أو القادر على الخلق من غير تعذر الحقيقة ، على أنه لو جاز إطلاق الخالق عليه بمعنى القادر ، لجاز إطلاق كل مايقدر عليه من الاعراض

الثالث : أنه لو كان حادثا ، فاما بتكوين آخر ، فيلزم التسلسل وهو محال ، ويلزم منه استحالة تكون ، مع أنه مشاهد ، وإما بدونه ، فيستغني الحادث عن المحدث والاحداث ، وفيه تعطيل الصانع .

الرابع : أنه لو حدث ، لحدث إما في ذاته تعالى ، فيصير محلا للحوادث ، أو في غيره كما ذهب اليه أبو الهذيل من أن تكوين كل جسم قائم به ، فيكون كل جسم خالقا ومكونا لنفسه ، ولا خفاء في استحالته . ومبنى هذه الادلة أن التكوين صفة حقيقة، كالعلم ، والقدرة . قال : والمحققون من المتكلمين على أنه من الاضافات والاعتبارات العقلية، مثل كون الصانع تعالى وتقدس قبل كل شيء ومعه وبعده ، ومذكوراً بألسنتنا ، ومعبوداً لنا، ومميتاً ، ومحيياً ، ونحو ذلك قال : والحاصل في الأزل هو مبدأ التخليق ، والترزيق ، والإماتة والإحياء

وغير ذلك ، ولا دليل على كونه صفة أخرى سوى القدرة ، والارادة وان كانت نسبتها الى وجود المكون وعدمه على السواء ، لكن مع انضمام الارادة بتخصيص أحد الجانبين . قـــال : ولما استدل القائلون بحدوث التكوين بأنه لايتصور بدون المكون ، كالضرب بدون المضروب ، فلو كان قديماً لزم قدم المكونات ، وهو محال ، أشار النسفي الى الجواب بقوله: وهو أي التكوين تكوينه للعالم ، ولكل من أجزائه ، لافي الأزل ، بل لوقت وجوده على حسب علمه وارادته ، فالتكوين باق أزلاً وأبداً ، والمكون حادث بحدوث التعلق ، كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لايلزم من قدمها قدم متعلقاتها ، لكون تعلقاتها حادثة ، وهذا تحقيق مايقال: إن وجود العالم ان لم يتعلق بذات الله تعالى أو صفة من صفاته ، لزم تعطيل الصانع ، واستغناء الحوادث عن الموجد ، وهو محال ، وان تعلق ، فإما أن يستلزم ذلك قدم مايتعلق وجوده به ، فيلزم قدم العالم ، وهو باطل أولاً ، فليكن التكوين أيضاً قديماً مع حدوث المكون المتعلق به . وما يقال بأن القول بتعلق وجود المكون بالتكوين قول بحدوثه ، إذ القديم مالا يتعلق وجوده بالغير ، والحادث مايتعلق به ، فمنظور فيه ، لأن هذا معنى القديم والحادث بالذات على مايقول به الفلاسفة . وأما عند المتكلمين ، فالحادث مالوجوده بداية ؛ أي يكون مسبوقاً بالعدم ، والقديم بخلافه ، ومجرد تعلق وجوده بالغير لايستلزم حدوثه بهذا المعنى ، لجواز أن يكون محتاجاً الى الغير صادراً عنه دائماً بدوامه ، كما ذهب اليه الفلاسفة فيما ادعوا قدمه من الممكنات ، كالهيولى مثلاً . نعم إذا أثبتنا صدور العالم عن الصانع بالاختيار دون الايجاب بدليل لايتوقف على حدوث العالم ، كان القول بتعلق وجوده بتكوين الله تعالى قولاً بحدوثه . ومن هنا يقال : ان التنصيص

على كل جزء من أجزاء العالم إشارة الى الرد على من زعم قدم بعض الأجزاء كالهيولى ، وإلا فهم انما يقولون بقدمها بمعنى عدم المسبوقية بالعدم ، لا بمعنى عدم تكونه بالغير .

والحاصل أنا لا نسلم أنه لا يتصور التكوين بدون المكون ، وأن وازنه معه وزان الضرب مع المضروب ، فان الضرب صفة إضافية لا يتصور بدون المضافين . أعني : الضارب والمضروب . وقد بينا أن التكوين صفة حقيقة ، هي مبدأ الاضافة التي هي إخراج المعدوم من العدم الى الوجود ، لا عينها ، حتى لو كانت عينها على ما وقع في عبارة بعض المشايخ لكان القول بتحققها بدون المكون مكابرة وانكاراً للضرورة ، فلا يندفع بما يقال من أن الضرب مستحيل البقاء ، فلا بد لتعلقه بالمفعول ، ووصول الألم اليه من وجود المفعول معه ، إذ لو تأخر لانعدم ، كذا قيل ، وهذا بالنسبة لفعل المخلوق ، وهو بخلاف فعل الباري ، فانه أزلي الدوام ، يبقى الى وقت وجود المفعول ، فالتكوين غير المكون عندنا ، لأن الفعل يغاير المفعول بالضرورة ، كالضرب مع المضروب ، والأكل مع المأكول ، ولأنه لو كان نفس المكون ، لزم أن يكون المكون مكوناً مخلوقاً بنفسه ، ضرورة أنه مكون بالتكوين الذي هو عينه ، فيكون قديماً مستغنياً عن الصانع ، وهو محال وأن لا يكون للخالق تعلق بالعالم سوى أنه أقدم منه ، وقادر عليه من غير صنع وتأثير فيه ، ضرورة تكونه بنفسه ، وهذا لا يوجب كونه خالقاً للعالم ، والعالم مخلوقاً ، فلا يصح القول بأنه خالق العالم وصانعه ، وهذا خلق ، وأن لا يكون الله مكوناً للاشياء ، ضرورة أنه لا معنى للمكون إلا من قام به التكوين ، والتكوين اذا كان عين المكون ، لا يكون قائماً بذات الله تعالى ، وإن يصح القول بأنه خالق سواد هذا الحجر أسود ، وهذا الحجر خلق السواد ،

إذ لا معنى للخالق والأسود إلا من قام به الخلق والسواد ، وهما واحد ، فمحلهما واحد ، هذا كله تنبيه على كون الحكم بتغاير الفعل والمفعول ضرورياً. ثم قال السعد التفتازاني : وهذا يعني إبطال القول بأن الفعل هو المفعول ، لا يتم إلا باثبات أن تكون الأشياء ، وصدورها عن الباري تعالى يتوقف على صفة حقيقية قائمة بالذات ، مغايرة للقدرة والارادة . قال : والتحقيق أن تعلق القدرة على وفق الارادة بوجود المقدور لوقت وجوده ، إذا نسب للقدرة يسمى ايجابها له ، واذا نسب الى القادر يسمى الخلق والتكوين ، ونحو ذلك ، فحقيقة كون الذات بحيث تعلقت قدرته بوجود المقدور لوقته ، ثم يتحقق بحسب خصوصيات المقدورات خصوصيات الأفعال ، كالترزيق ، والتصوير ، والاحياء ، والإماتة ، وغير ذلك ، الى مالانهاية له . قال : وأما كون كل من ذلك صفة حقيقة أزلية ، فمما تفرد به علماء ما وراء النهر ، وفيه تكثير للقدماء جداً وإن لم تكن متغايرة. قال : والأقرب ماذهب اليه المحققون منهم ، وهو أن مرجع الكل الى التكوين ، فانه ان تعلق بالحياة سمي احياء ، وبالموت سمي اماتة ، وبالصورة تصويراً ، وبالرزق ترزيقاً ، الى غير ذلك ، فالكل تكوين ، وانما الخصوص بخصوص التعلقات . انتهى .

قلت : مراده بقوله : مما تفرد به بعض علماء ماوراء النهر ، علماء الكلام ، والا فهو مذهب السلف ، كما تقدمت الاشارة اليه ، وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة ، ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في « شرح العقائد الاصفهانية » الصواب أن الخلق غير المخلوق . قال : والذين يقولون : الخلق هو المخلوق ، قولهم فاسد ، وبين وجه فساده ، وما ذكر من الآيات القرآنية ، والأخبار النبوية الدالة على هذا الأصل شيئاً

كثيراً ، مثل (كل يوم هو في شأن) الرحمن : ٢٩ (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهو رضوانه فأحبط أعمالهم) محمد : ٢٨ وقوله : (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم) الزمر : ٧ فأخبر أن طاعته سبب لمحبته ورضاه ، ومعصيته سبب لسخطه وغضبه. وقال تعالى (فاذكروني اذكركم) البقرة : ١٥٢ وجواب الشرط كالمسبب مع السبب . وفي « الصحيح » عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، ومن تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعاً ، ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » وفي « الصحيحين » وغيرهما « لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن ممن أضل راحلته بأرض دوية مهلكة ، عليها طعامه وشرابه ، فنام تحت شجرة ينتظر الموت ، فلما استيقظ إذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه ، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته » وفي « الصحيح » « يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة » وفي « الصحاح » و « والسنن » و « المساند » من هذا شيء كثير ، يتعذر أو يتعسر احصاؤه . وقد ذكر من ذلك شيئاً كثيراً ، ثم قال : وبهذا الاصل العظيم الذي دلت عليه الكتب المنزلة من الله تعالى ، القرآن والتوراة والانجيل ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة ، يظهر بطلان مذهب القائلين بالقدماء الخمسة . انتهى .

قول الناظم : فلذاك وصف الفعل ليس الا نسبة عدمية الخ . يعني : إن القائلين بأن الفعل هو المفعول عندهم أن صفة الفعل نسبة ، والنسب ، أمور عدمية ، فجميع أسماء الفعال عندهم نسب ، والنسب أمر عدمي ،

فهذا منهم تعطيل للأفعال ، كما عطلوا الصفات .

قـــوله : والحق أن الوصف ليس بمورد التقسيم ؛ أي : بل مورد التقسيم ما قام بالذات ، وهي أوصاف وأفعال ، فالوصف بالأفعال يستدعي قيام الفعل بالموصوف بالبراهين القاطعة عقلًا ونقلًا .

قـــوله : ومن العجائب أنهم ردوا على من أثبت الأسماء دون معان. أي : ومن العجائب أن الأشاعرة ردوا على المعتزلة في اثباتهم الاسماء دون معانيها . كقولهم : قدير بلا قدرة ، سميع بلا سمع ، بصير بلابصر ، مريد بلا ارادة ، ونحو ذلك . ثم أتوا الى الأوصاف باسم الفعل فقالوا : لم يقم بالله تعالى ، فأبطلوا الأصل الذي ردوا به على المعتزلة ، والله أعلم

فصل

هذا ومن أسمائه ماليس يفـــرد بل يقال إذا أتى بقران
وهي التي تدعى بمزدواجتها أفرادها خطر على الإنسان
إذ ذاك موهم نوع نقص جل رب العرش عن عيب وعن نقصان
كالمانع المعطي وكالضار الذي هو نافع وكماله الأمران
ونظير هذا القابض المقرون باســـم الباسط اللفظان مقترنان
وكذا المعز مع المذل وخافض مع رافع لفظان مزدوجـــان
وحديث افراد اسم منتقم فمو قوف كما قد قال ذو العرفان

ماجاء في القرآن غير مقيد بالمجرمين وجاء ذو نوعان

قال النـــاظم في « بدائع الفوائد » بعد كلام سبق : السادس : صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قـــدر زائد على مفرديها ، نحو الغني ، الغفور ، القدير ، الحميد ، المجيد ، وهكذا عامـــة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن ، فان الغناء صفة كمال ، والحمد كذلك ، واجتماع الغناء مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه ، وثناء من حمده ، وثناء من اجتماعهما ، وكذلك الغفور القدير ، والحميد المجيد ، والعزيز الحكيم ؛ فتأمله فانه من أشرف المعارف . وقال في موضع آخر : ومنهـا ما لا يطلق عليه بمفرده ، بل مقروناً بمقابله ، كالمانع ، والضار ، والمنتقم ، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله ، فانه مقرون بالمعطي ، والنافع ، والعفو ، فهو المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، العفو ، المنتقم ، المعز ، المذل ، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بمقابله ، لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق ، والتصرف فيهم ، عطاء ، ومنعاً ، ونفعاً ، وضراً ، وعفواً ، وانتقاماً . وأما أن يثني عليه بمجرد المنع والانتقام والاضرار ، فلا يسوغ ، فهذه الأسماء المزدوجة يجري الاسمان مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض ، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الوحد ، ولذلك لم تجيء مفردة ، ولم تطلق عليه الا مقترنة ، فاعلمه ، فلو قلت : يامذل ياضار ، يامانع . أو أخبرت بذلك ، لم تكن مثنياً عليه ، ولا حامداً حتى تذكر مقابله . وأما الحديث الذي فيه إفراد اسم المنتقم ، فهو موقوف ، كما قال الناظم ، والله أعلم .

فصل

ودلالة الاسماء أنواع ثلا ث كلها معلومة ببيـــان
دلت مطابقة كـــذاك تضمناً وكذا التزاماً واضح البرهان
أما مطابقة الدلالة فهي ان الاسم يفهم منه مفهومان
ذات الإله وذلك الوصف الذي يشتق منه الاسم بالميزان
لكن دلالته على إحداهما بتضمن فافهمه فهم بيان
وكذا دلالته على الصفة التي ما اشتق منها فالتزام دان
وإذا أردت لذا مثالاً بيناً فمثال ذلك لفظة الرحمن
ذات الإله ورحمة مدلولها فهما لهذا اللفظ مدلولان
إحداهما بعض لذا الموضوع فهـــي تضمَّن ذا واضح التبيان
لكن وصف الحي لازم ذلك المـــعنى لزوم العـــلم للرحمن
فلذا دلالته عليه بالتزا م بيّن والحق ذو تبيان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان أنواع الدلالات الثلاثة ، وهي المطابقة ، والتضمن ، والالتزام ، وذلك مثل مامثل به الناظم ، وهو لفظة الرحمن ، فانها دلت على الصفة المشتق منها ، وعلى ذات الرب سبحانه ، لكن دلالته على إحداهما بالتضمن . وأما دلالتها على الصفة التي لم يشتق منها اللفظ كالحياة ، والعلم ، فهي بالالتزام ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « شرح المنازل » الاسم من أسمائه تبارك وتعـــالى ، كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة ، فانه يدل دلالتان آخرتان بالتضمن واللزوم ، فيدل على الصفة بفردها بالتضمن ، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة ؛ ويدل على الصفة الأخرى باللزوم ، فان اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة ، وعلى الذات وحدها ، والسمع وحده بالتضمن ، ويدل على اسم الحي وصفة الحياة بالالتزام . انتهى .

وهذا واضح في بيان كلام الناظم رحمه الله تعالى .

فصل

في بيان حقيقة الالحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين

أسماؤه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعان
إياك والإلحاد فيها إنه كفر معاذ الله من كفران
وحقيقة الالحاد فيها الميل بالـــاشراك والتعطيل والنكران
فالملحدون اذاً ثلاث طوائف فعليهم غضب من الرحمن
المشركون لأنهم سموا بها أوثانهم قالوا إله ثان
هم شبهوا المخلوق بالخلاق عكـــس مشبه الخلاق بالانسان
وكذاك أهل الاتحاد فانهم اخوانهم من أقرب الإخوان

أعطوا الوجود جميعه أسماءه إذ كان عين الله ذي السلطان

والمشركون أقل شركاً منهمُ هم خصصوا ذا الاسم بالأوثان

ولذاك كانوا أهل شرك عندهم لو عمموا ماكان من كفران

ذكر الناظم رحمه الله في أول الأبيات ، أن أسماءه سبحانه أوصاف مدح، فهي أعلام ، وأوصاف ، والوصف فيها لاينافي العلمية ، بخلاف أوصاف العباد، فانها تنافي علميتهم ، لأن أوصافهم مشتركة ، ففاتتها العلمية المختصة ، بخلاف أوصافه تعالى .

قولـــه : مشتقة الخ . أي : إذا أطلق الاسم عليه تعالى ، جاز أن يشتق منه المصدر والفعل ، فيخبر عنه فعلاً أو مصدراً ، نحـــو السميع ، البصير ، القدير ، يطلق عليـه منه اسم السمع والبصر والقدرة ، ويخبر عنه بالأفعـال من ذلك ، نحو (قد سمع الله) المجادلة : ١ وقد رأى الله (فنعم القادرون) المرسلات : ٢٣ هذا إذا كان الفعل متعدياً فإن كان لازماً ، لم يخبر عنه به ، نحو الحي ، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل ، فلايقال: حي، كذا أفاده الناظم في « بدائع الفوائد » وينبغي أن يعلم أن الاسماء الحسنى لها اعتباران : اعتبار من حيث الاسماء ، واعتبار من حيث الصفات ، فهي بالاعتبار الأول مترادفة ، وبالاعتبار الثاني متباينة ، والله أعلم .

قوله : إياك والالحاد فيها الخ . اعلم أن الالحاد في أسمـائه سبحانه ، هو العدول بها وبجهاتها ومعانيها عن الحق الثابت لها ، وهو مأخوذ من الميل ، كما يدل عليه مادة (لحد) ومنه اللحد ، وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط ، ومنه الملحد في الدين : المائل عن الحق الى الباطل . قال ابن السكيت : الملحد : المائل عن الحق : المدخل فيه ماليس منه ، ومنه الملتحد ، وهو مفتعل ، ومن ذلك قوله تعالى (ولن تجد من دونه ملتحداً) الجن : ٢٢

أي: من تعدل اليه ، وتهرب اليه ، وتلتجىء إليه ، وتبتهل اليه غيره. تقول العرب : التحد فلان الى فلان ، اذا عدل اليه .

إذا عرف هذا ، فالالحاد في أسمائه تعالى أنواع : أحدها : أن تسمى الأصنام بها ، كتسميتهم اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، وتسميتهم الصنم إلهاً ، وهذا إلحاد حقيقة ، فانهم عدلوا بأسمائه الى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

قوله : وكذلك أهل الاتحاد الخ . أي : أن أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود ، أعطوا الوجود أسماءه تعالى ، والمشركون أقل منهم شركاً ، لأن المشركين خصصوا العبادة بالأوثان، وهؤلاء عمموا كل شيء بالعبادة ، قالوا: وانما كانوا مشركين ، لأنهم خصصوا العبادة ببعض المظاهر ، ولو عمموا كل شيء لما كانوا مشركين . تعالى الله عن قولهم ، كما قال في « الفصوص » في قوم نوح عليه السلام : إنهم لو تركوا عبادتهم لود ؛ وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، لجهلوا من الحق بقدر ماتركوا من هؤلاء ، ثم قال : فإن للحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من عرفه ، ويجهله من جهله ، فالعالم يعلم من عبد ، وفي أي صورة ظهر حتى عبد .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والملحد الثاني فذو التعطيل إذ ينفي حقائقها بلا برهان
ما ثم غير الاسم أوله بما ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان
فالقصد دفع النص عن معنى الحقيقة فاجتهد فيه بلفظ بيان
عطل وحرّف ثم أول وانفها واقذف بتجسيم وبالكفران
للمثبتين حقائق الاسماء والـ ـأوصاف بالأخبار والقرآن
فاذا هم احتجوا عليك فقل لهم هذا مجاز وهو وضع ثان

فاذا غلبت عن المجاز فقل لهم لايستفاد حقيقة الايقان
أني وتلك أدلة لفظيـــة عزلت عن الايقان منذ زمان
فاذا تضافرت الأدلة كثرة وغلبت عن تقرير ذا ببيان
فعليك حينئذ بقانون وضعـــناه لدفع أدلة القرآن
ولكل نص ليس يقبل أن يؤو ل بالمجاز ولا بمعنى ثان
قل عارض المنقول معقول وما الـــأمران عند العقل يتفقان
ماثم إلا واحد من أربع متقـــابلات كلها بوزان
اعمال ذين وعكسه أو تلغي الـــــمعقول ماهذا بذي إمكان
العقل أصل النقل وهو أبوه ان تبطله يبطل فرعه التحتاني
فتعين الاعمال للمعقول والـــإلغاء للمنقول ذي البرهان
إعماله يفضي إلى إلغـائه فاهجره هجر الترك والنسيان
والله لم نكذب عليهم اننا وهم لدى الرحمن مختصمان
وهناك يجزى الملحدون ومن نفى الـإلحـــاد يجزى ثم بالغفران
فاصبر قليلاً انما هي ساعة يامثبت الأوصاف للرحمن
فلسوف تجني أجر صبرك حين يجـــني الغير وزر الاثم والعدوان
فالله سائلنا وسائلهم عن الـــإثبات والتعطيل بعد زمان
فأعدّ حينئذ جواباً كافياً عند السؤال يكون ذا تبيان

فوله ، والملحد الثاني فذو التعطيل الخ . هذا الحاد الطائفة الثانية من الملحدين ، وهو إلحاد أهل التعطيل الذين عطلوا الاسماء الحسنى من معانيها ، وجحدوا حقائقها ، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم : إنهـــا ألفاظ مجردة لاتتضمن صفات ، ولا معان ، فيطلقون عليه اسم السميع ، والبصير ، والحي ، والرحيم ، والمتكلم ، والمريد . ويقولون : لاحيـاة له ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا كلام ، ولا إرادة تقوم به ، وهذا من أعظم الالحـاد فيها عقلاً ، وشرعاً ، ولغة ، وفطرة ، وهو مقابل لإلحاد المشركين ، فان أولئك أعطوا أسماءه وصفاته ، لآلهتهم ، وهؤلاء سلبوه صفات كماله ، وجحدوهـا وعطلوها ، فكلاهما ملحد في أسمائه ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد ، فيهم العالي ، والمتوسط ، والمتلون ، وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك ، فليستقل أو ليستكثر .

قوله : فالقصد دفع النص عن معنى الحقيقة ، أي : أن هذا القسم من الملحدين قصدهم دفع النص عن معنى الحقيقة بالتحريف ، والتعطيل ، والنفي ، وقذف المثبتة ، ونبزهم بالتجسيم ، ورميهم بالكفر ، ويقولون : إذا احتجت المثبتة عليك بالنصوص القرآنية والأحـاديث النبوية ، فادفعها بضروب من الدفع ، مثل دعوى أنها مجاز ، فاذا غلبت على المجاز ، فقل : هي أدلة لفظية لاتفيد العـــلم واليقين ، فاذا تكاثرت الأدلة وتضافرت ، فعليك بالقوانين الموضوعة لدفع أدلة القرآن ، ولكل نص لايقبل التأويل ، وقل عـارض المنقول معقول . واذا تعارض العقل والنقل ، فما ثم إلا واحد من أربع : إما أن نعملهما ، وإما أن نهملهما ، وإما أن نعمل النقل ونلغي العقل ، وهو غير ممكن ، لأن العقل أصل النقل ، والنقل فرعه ، فان أبطلناه أبطلنا النقل ، لأنا صدقنا النقل به ، فأعماله يفضي إلى الغائه ، فتعين الإعمال للمعقول وإلغاء

المنقول بالقانون ذي البرهان!. وقد بسط شيخ الاسلام رحمه الله الكلام على هذا أتم بسط في أول كتاب « درء تعارض العقل والنقل » فارجع اليه إن شئت ، وكذلك العلامة الناظم ، فانه بسط ذلك ، وأطنب في كتابه « الصواعق المرسلة » .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثالثهم فنافيها ونا في ما تدل عليه بالبهتان
ذا جاحد الرحمن رأساً لم يقر بخالق أبدا ولا رحمن
هذا هو الإلحاد فاحذره لعل الله أن ينجيك من نيران
وتفوز بالزلفى لديه وجنة المأوى مع الغفران والرضوان
لاتوحشنك غربة بين الورى فالناس كالأموات في الحيان
أو ماعلمت بأن أهل السنة الغرباء حقاً عند كل زمان
قل لي متى سلم الرسول وصحبه والتابعون لهم على الاحسان
من جاهل ومعاند ومنافق ومحارب بالبغي والعدوان
وتظن أنك وارث لهم وما ذقت الأذى في نصرة الرحمن
كلا ولا جاهدت حق جهاده في الله لا بيد ولا بلسان
منتك والله المحال النفس فاستحدث سوى ذا الرأي والحسبان
لو كنت وارثه لآذتك الألى ورثوا عداه بسائر الألوان

ذكر في هذا الفصل إلحاد الطائفة الثالثة من أهل الإلحاد ، وهو إلحاد النفاة

الجاحدين لله ، ولكتبه ، ورسله ، وهذا هو الإلحاد حقاً كما قال الناظم . نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه . شرع الناظم في تعزية أهل السنة، وأنهم هم الغرباء في كل زمان . ولقد أحسن القائل :

قد عرف المنكر واستنكر الجهل في رتبة
فقلت للأبرار أهل التقى والدين لما اشتدت الكربة
لاتنكروا أحوالكم قد أتت نوبتكم في زمن الغربة

وللحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب كتاب « كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة » .

فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين .

هذا وثاني نوعي التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمن
أن لاتكون لغيره عبداً ولا تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالاسلام والإيمان والـ ـإحسان في سر وفي إعلان
والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد كالركنين للبنيان
وحقيقة الاخلاص توحيد المـ ـراد فلا يزاحمه مراد ثان
لكن مراد العبد يبقى واحداً مافيه تفريق لدى الانسان

إن كان ربك واحداً سبحانه فاخصصه بالتوحيد مع إحسان
إن كان ربك واحداً أنشاك لم يشركه اذ أنشاك رب ثان
فكذاك أيضاً وحده فاعبده لا تعبد سواه ياأخا العرفان
والصدق توحيد الارادة وهو بذ ل الجهد لا كسلاً ولا متوان
والسنّة المثلى لسالكها فتو حيد الطريق الأعظم السلطان
فلواحد كن واحداً في واحد أعني سبيل الحق والإيمان
هذي ثلاث مسعدات للذي قد نالها والفضل للمنان
فاذا هي اجتمعت لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان
لله قلب شام هاتيك البرو ق من الخيام فهمّ بالطيران
لولا التعلل بالرجاء تصدعت أعشاره كتصدع البنيان
وتراه يبسطه الرجاء فينثني متمايلاً كتمايل النشوان
ويعود يقبضه الاياس لكونه متخلفاً عن رفقة الإحسان
فتراه بين القبض والبسط اللذا ن هما لأفق سمائه قطبان
وبدا له سعد السعود فصار مســـراه عليه لاعلى الدبران
لله ذياك الفريق فانهم خصوا بخالصة من الرحمن
شدت ركائبهم الى معبودهم ورسوله ياخيبة الكسلان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في النوع الثاني من توحيد الأنبياء والمرسلين، وهو توحيد العبادة . والعبادة في اللغة : الذل . يقال : بعير معبد ، أي . مذلل . وطريق معبد : إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام .

وأما العبادة في اصطلاح العلماء، فقد عرفها طائفة بقولهم : العبادة ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ، ولا اقتضاء عقلي . وعرفها طائفة بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع .

وقال شيخ الاسلام : هي اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسان إلى الجار ، واليتيم ، والمسكين ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والانابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، فالدين كله داخل في العبادة . انتهى[1] وكل هذه التعريفات للعبادة معناها واحد .

وإذا عرفت معنى العبادة ، فاعلم أن التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، وهو توحيد الالهية والعبادة .

قال الناظم رحمه الله تعالى : وأما التوحيد الذي دعت اليه الرسل ،

---

(١) قال ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في أول كتابه « العبودية » وقد قام المكتب بطبعه طباعة متقنة وتخريج بعض أحاديثه ، وقدم له مقدمة مطولة الاستاذ الفاضل عبد الرحمن الباني مفتش التربية الاسلامية في وزارة التربية والتعليم في الشام .

ونزلت به الكتب ، فهو نوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، فالأول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعـــالى ، وصفاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، وتكلمه بكتبه ، وتكليمه من شاء من عباده ، وإثبات عموم قضائه ، وقدره ، وحكمته . وقد أفصح القرآن عن هـذا النوع حد الافصاح ، كما في أول (الحديد) وسورة (طـه) وآخر (الحشر) وأول (تنزيل السجدة) وسورة (الاخلاص) بكمالها ، وغير ذلك .

النوع الثاني : ماتضمنته سورة (قل يأيها الكافرون) وقوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولانشرك به شيئاً ..) آل عمران : ٦٤ الآية وأول سورة (تنزيل الكتاب) وآخرها ، وأول سورة (المؤمن) ووسطها وآخرها ، وأول سورة (الأعراف) وآخرها ، وجملة سورة (الأنعام) وغالب سور القرآن ، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيـــد ، شاهدة به ، داعية إليه ، فان القرآن إما خبر عن الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأقواله ، فهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوة الى عبادته وحده لاشريك له ، وخلع مايعبد من دونه ، فهو التوحيد الارادي الطلبي ، وإما أمر ونهي ، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه ، فهو حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرام أهـل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء أهل توحيده ، وإمـا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، ومـا يحل بهم في العقبى من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم . انتهى .

قال شيخ الاسلام : التوحيد الذي جاء به الرسول إنما يتضمن إثبـات الإلهية لله وحده ، بأن يشهد أن لا إله الا الله ، فلا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل

إلا عليه ، ولا يوالي الا له ، ولا يعادي إلا فيه ، ولا يعمل الا لأجله ، وذلك يتضمن اثبات ماأثبته لنفسه من الأسماء والصفات . قال تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم) البقرة : ١٦٣ وقال تعالى (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون) النحل : ٥١ وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) المؤمنون : ١١٧ وقال تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) الزخرف : ٤٥ وأخبر عن كل نبي من الانبياء أنهم دعوا الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له . وقال (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) الممتحنة : ٤ وقال عن المشركين : (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) الصافات : ٣٥ ، ٣٦ وهذا في القرآن كثير ، وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم ، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف . ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل ، فقد أثبتوا غـــايه التوحيد ، وأنهم إذا أشهدوا هذا وفنوا فيه ، فقد فنوا في غاية التوحيد ، فان الرجل لو أقر بما يستحق الرب تعالى من الصفات ، ونزهه عن كل مايتنزه عنه ؛ وأقر بأنه وحده خالق كل شيء ، لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا اله الا الله وحـده ، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبـادة ، ويلتزم بعبـادة الله وحده لا شريك له . والإله : هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة ، وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع ، فاذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع ، واعتقد أن

هذا المعنى هو أخص وصف الإله ، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية ، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه ، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، فان مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق شيء ، وكانوا مع هذا مشركين. قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يوسف: ١٠٦ قال طائفة من السلف تسألهم : من خلق السموات والارض؟ فيقولون : الله ، وهم مع هذا يعبدون غيره . قال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الى قوله (فأنى تسحرون) المؤمنون: ٨٤-٨٩ فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ماسواه ، داعياً له دون ما سواه ، راجياً له خائفاً منه دون ما سواه، يوالي فيه ، ويعادي فيه ، ويطيع رسوله ، ويأمر بما أمر به ، وينهى عما نهى عنه ، وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء ، وابتغوا الشفعاء الذين يشركونهم به ، وجعلوا له أنداداً . قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لايملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض) الزمر : ٤٣ ، ٤٤ وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لايضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الى قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) يونس: ١٨ وقال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) الأنعام : ٩٤ وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) البقرة : ١٦٥ ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ، ويدعوها ، ويصوم ، وينسك لها ، ويتقرب اليها .

ثم يقول : إن هذا ليس بشرك ، إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي ، فإذا جعلتها سبباً وواسطة ، لم أكن مشركاً . ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ، أن هذا شرك . انتهى كلامه .

قوله : والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد . جعل الاخلاص أحد ركني توحيد العبادة ، والصدق ركنه الآخر ، وفسر الصدق ، بما ذكر . وقال الناظم في بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص والعزم ، فباجتماعهما يصح له مقام الصدق ، فظهر من كلامه أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص .

قوله : فلواحد . يريد به الاخلاص لله الواحد ، وهذا هو توحيد المراد.

قوله : كن واحداً . يريد به الصدق ، وهو توحيد الارادة .

قوله : في واحد . يريد به توحيد الطريق ، وهو اتباع الكتاب والسنة ، وذلك معنى قوله : والسنة المثلى لسالكها ، فتوحيد الطريق الخ . .

قوله : شام ، هو فعل ماض . يقال : شام يشيم شيماً ، إذا نظر من بعد .

فصل

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمن أياً كان من حجر ومن انسان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان

والله ماساووهمُ بالله في خلق ولا رزق ولا إحسان
فالله عندهم هو الخلاق والرزاق مولى الفضل والإحسان
لكنهم ساووهم بالله في حب وتعظيم وفي ايمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما جعلوا المحبة قط للرحمن
لو كان حبهمُ لأجل الله ما عادوا أحبته على الإيمان
ولما أحبوا سخطه وتجنبوا محبوبه ومواقع الرضوان
شرط المحبة أن توافق من تحـــب على محبته بلا عصيان
فاذا ادعيت له المحبة مع خلا فك مايحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدّعي حباً له ماذاك في إمكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه إن المحبة ياأخا الشيطان
ليس العبادة غير توحيد المحـــبة مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يحـــب وبغض مالا يرتضى بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان
هذا هو الإحسان شرط في قبو ل السعي فافهمه من القرآن
والاتباع بدون شرع رسوله عين المحال وأبطل البطلان
فاذا نبذت كتابه ورسوله وتبعت أمر النفس والشيطان
وتخذت أنداداً تحبهم كحـــب الله كنت مجانب الإيمان

ولقد رأينا من فريق يدّعي الـــإسلام شركاً ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء والوهم وسووهم به في الحب لا السلطان
والله ماساووهم بالله بل زادوهم حباً بلا كتمان
والله ماغضبوا إذا انتهكت محا رم ربهم في السر والإعلان
حتى إذا ماقيل في الوثن الذي يدعونه مافيه من نقصان
فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب ومن شتم ومن وعدوان
وأجارك الرحمن من ضرب وتعـــزير ومن سب ومن سجّان
والله لو عطلت كل صفاته ماقابلوك ببعض ذا العدوان
والله لو خالفت نص رسوله نصاً صريحاً واضح التبيان
وتبعت قول شيوخهم أو غيرهم كنت المحقق صاحب العرفان
حتى إذا خالفت آراء الرجا ل لسنة المبعوث بالقرآن
نادوا عليك ببدعة وضلالة قالوا وفي تكفيره قولان
قالوا تنقصت الكبار وسائر الـــعلماء بل جاهرت بالبهتان
هذا ولم نسلبهم حقاً لهم ليكون ذا كذب وذا عدوان
وإذا سلبت صفاته وعلوه وكلامه جهراً بلا كتمان
لم يغضبوا بل كان ذلك عندهم عين الصواب ومقتضى الإحسان
والأمر والله العظيم يزيد فو ق الوصف لايخفى على العميان

وإذا ذكرت الله توحيداً رأيـــت وجوههم مكسوفة الألوان

بل ينظرون اليك شزراً مثل ما نظر التيوس إلى عصا الجوبان

وإذا ذكرت بمدحة شركاءهم يستبشرون تباشر الفرحـان

والله ماشموا روائح دينه يازكمة أعيت طبيب زمان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى هذه في الأبيات الشرك ، وذكر أن الله لايغفره ، كما قال تعالى (إن الله لايغفر ان يشرك به) النساء: ٤٨-١١٦

وقوله : وهو اتخاذ الند للرحمن الخ ؛ أي : إن الشرك هو اتخاذ ند من دون الله يدعوه كما يدعو الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويحبه كما يحب الله ، ونحو ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي أرسل الله الرسل وأنزل الكتب للنهي عنه ، وتكفير أهله ، واستباحة دمائهم وأموالهم .

قـــوله : والله ماساووهم بالله في خلق الخ ؛ أي : إن المشركين ما ساووا معبوديهم بالله في الخلق ، والرزق ، والاحسان ، وانما ساووهم بالله في المحبة ، والخوف ، والرجاء ، والدعاء ، ونحو ذلك ، كما قال تعالى عن المشركين : انهم يقولون لآلهتهم (تالله ان كنا لفي ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨ ومعلوم أنهم ماساووهم بالله في الخلق والرزق ، وانما ساووهم به في المحبة والتعظيم ، وإلا فهم يعتقدون أنهم مخلوقون مربوبون ، كما قال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) ... الايات المؤمنون : ٨٤ ، ٨٩ وقال تعالى عنهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الزمر: ٣ وكان المشركون يقولون في تلبيتهم : لبيك لا

شربك لك هو لك تملكه وما ملك. وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) الاية سبأ : ٢٢

قال الناظم رحمه الله تعالى في « شرح المنازل » في الكلام على هذه الآيات : وقد قطع الله الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه ، أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شفيعاً ، فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ،وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت. فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) سبأ ٢٢ ، ٢٣ فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع ، والنفع لايكون الا ممن فيه خصلة من هذه الأربع ، اما مالكاً لما يريد عابده منه ، فان لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فان لم يكن شريكاً له كان معيناً وظهيراً ، فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده . فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مرتباً منتقلا من الأعلى الى الأدنى ،فنفى الملك ،والشركة ،والمظاهرة ،والشفاعة التي يطلبها المشرك، أثبت شفاعة لانصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة باذنه ، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد ،وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ،والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لايشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنه في نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك . ثم قال : ومن أنواعه ؛ أي الشرك ، طلب الحوائج

من الموتى ، والاستغاثة بهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله ، وهو لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً لمن استغاث به وسأله أن يشفع له الى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، كأنه لايقدر أن يشفع عند الله الاباذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه ، وانما السبب كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ، وتغير دينه ، ومعادات أهل التوحيد ، ونسبة أهله الى التنقيص بالأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أمروهم به ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، ومانجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب سمعتهم الى الله ، واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده ، فجرد حبه لله ، وخوفه لله ، ورجاءه لله ، وتوكله على الله ، واستعانته بالله ، والتجاءه الى الله ، واستغاثته بالله ، وقصده لله ، متبعاً لأمره ، متطلباً لمرضاته ، اذا سأل سأل الله ، واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل لله ، فهو لله ، وبالله ، ومع الله . انتهى كلامه ،

قولـــه : ولقد رأينا من فريق يدعي الاسلام الخ . قد ذكر الناظم في « شرح المنازل » كلاماً كالشرح لكلامه هذا . قـــال رحمه الله تعالى : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالاكبر لايغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قـــالوا لآلهتهم في النار

(تالله ان كنا لفي ضلال مبين. اذ نسويكم برب العالمين) الشعراء ٩٧ ، ٩٨ مع اقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ، ومليكه ، وأن آلهتهم لاتخلق ، ولا ترزق ، ولاتميت ولا تحيي ، وانما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة، كما هو حال مشركي العالم ، بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ، ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر اللـه وحده ، ويغضبون لتنقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذ انتقص أحد رب العالمين ، واذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوديهم ، غضبوا غضب الليث ، واذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها ،بل اذا قام المنتهك لها باطعامهم شيئاً أعرضوا عنه ولم تتنكر له قلوبهم ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر آلهه ومعبوده من دون اللـه على لسانه ، ان قام ، وان قعد ، وان عثر ، وان استوحى ، فذكر الهه ومعبوده من دون اللـه هو الغالب على قلبه ولسانه ، وهو لاينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته الى الله ، وشفيعه عنده ، ووسيلته اليه ، وهكذا كان عباد الأصنام سواء وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت من الحجر ، وغيرهم اتخذها من البشر . قال تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى إن اللـه يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) الزمر : ٣ ثم شهد عليهم بالكذب والكفر ، وأخبر أنه لايهديهم ، فقال (ان اللـه لا يهدي من هو كاذب كفار) الزمر: ٣ فهذه حال من اتخذ من دون اللـه ولياً يزعم أنه يقرب الى اللـه ، وما أعز من تخلص من هذا ، بل

ما أعز من لا يعادي من أنكره ، والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك . وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه ، وأبطله ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد الا لمن أذن الله أن يشفع فيه ، ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فإنه يأذن سبحانه لمن يشاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوا شفعاء من دونه ، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن له صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعاً من دون الله .

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله ، الشفاعة الصادرة عن اذنه لمن وحده ، والشفاعة التي نفاها الله الشفاعة الشركية في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء ، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ، ويفوزبها الموحدون ، فتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله ؟ قال : « أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله الا الله » كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ماعند المشركين ، أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء ، وعبادتهم ، وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع . ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذ وليـــاً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله ، كما يكون خواص الملوك والولاة ، تنفع من والاهم ، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد في الشفاعة الا بإذنه ، ولا يأذن في الشفاعة الا لمن رضي قوله وعمله ، كما قال تعالى في الفصل الأول : (من الذي يشفع عنده إلا بإذنه) البقرة : ٢٥٥ وفي الفصل الثاني (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) الأنبياء : ٢٨ وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد ، واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولون والآخرون ، كما قال أبو العالية : كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ فهذه

ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها ، لاشفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول الا توحيده واتباع رسوله ، فان الله تعالى لايغفر شرك العادلين به غيره في العبادة ، والموالاة والمحبة ، كما في الآية الأخرى (تالله ان كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين) الشعراء : ٩٧، ٩٨ وكما في آية البقرة (يحبونهم كحب الله) البقرة : ١٦٥ وترى المشرك يكذب حاله وعمله قوله ، فانه يقول : لانحبهم كحب الله ، ولا نسويهم بالله ، ثم يغضب لهم ولحرماتهم إذا انتهكت أعظم مما يغضبه لله ، ويستبشر بذكرهم ، سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم ، من إغاثة اللهفات ، وتفريج الكربات ، وقضاء الحاجات ، وأنهم باب بين الله وعباده ، فترى المشرك يفرح ويسر ، ويحن قلبه ، ويهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم ، والموالاة . وإذا ذكرت الله وحده وجردت توحيده لحقته وحشة ، وضيق ، وحرج ، ورماك بتنقص الآلهة التي له ، وربما عاداك . رأينا هذا والله منهم عياناً ، ورمونا بعداوتهم ، وبغوا لنا الغوائل ، والله مخزيهم في الدنيا والآخرة ، ولم يكن حجتهم إلا أن قالوا كما قال إخوانهم : عاب آلهتنا ، فقال : هؤلاء تنقصتم مشايخنا ، وأبواب حوائجنا الى الله ؛ وهكذا قال النصارى للنبي ﷺ لما قال لهم : ان المسيح عبد. تنقصت المسيح ،وعبته ، . وهكذا أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثاناً تعبد ، ومساجد ، وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه ورسوله ، قالوا : تنقصت أصحابها ، فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم ،حتى كأنهم قد تواصوا به ، ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً . انتهى كلامه .

قوله : حرب ، يحتمل أنه يكون بسكون الراء ، وهو معروف ، جمعه حروب ، ويحتمل أنه بفتح الراء مصدر حرب . قال في « القاموس » : حرب كفرح كلب ، واشتد غضبه فهو حرب .

قوله : مكسوفة الألوان ، هو بالسين المهملة . قال في « القاموس » : ورجل كاسف البال ، سيء الحال ، وكاسف الوجه : عابسه .

قوله : شزر الخ . قال في « القاموس » : شزره ، واليه يشزره ، نظر منه في أحد شقيه ، وهو نظر فيه إعراض ، أو نظر الغضبان بمؤخر العين ، أو النظر يميناً وشمالاً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في صف العسكرين وتقابل الصفين واستدارة رحى الحرب العوان وتصاول الأقران .

العوان : بفتح العين أي : حرب بعد حرب

يامن يشب الحرب جهلاً مالكم ... بقتال حزب الله قط يدان

أنى يقاوم جندكم لجنودهم ... وهم الهداة وعسكر القرآن

وجنودكم مابين كذاب ودجا ... ل ومحتال وذي بهتان

من كل أرعن يدعي المعقول وهـ ... ـو مجانب للعقل والإيمان

قال في « القاموس » الأرعن : الأهوج في منطقه ، الأحمق المسترخي ، وقد رعن مثلثه رعونة ورعناً محركة ، وما أرعنه انتهى .

أو كل مبتدع وجهمي غدا في قلبه حرج من القرآن
أو كل من قددان دين شيوخ أهـ ـل الاعتزال البيّن البطلان
أو قائل بالاتحاد وأنه عين الاله وما هما شيآن
أو من غدا في دينه متحيراً أتباع كل ملدد حيران
وجنودهم جبريل مع ميكال مع باقي الملائك ناصري القرآن
وجميع رسل الله من نوح إلى خير الورى المبعوث من عدنان
فالقلب خمستهم أولو العزم الألى في سورة الشورى أتوا ببيان
في أول الأحزاب أيضاً ذكرهم هم خير خلق الله من إنسان

قوله : في سورة الشورى الخ . في قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليـك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى . . .) الآية. وفي الأحزاب :١٣ (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم . . .) الأحزاب : ٧ الآية .

ولواؤهم بيد الرسول محمد والكل تحت لواء ذي الفرقان
وجميع أصحاب الرسول عصابة الاسلام أهل العلم والإيمان
والتابعون لهم بإحسان على طبقاتهم في سائر الأزمان
أهل الحديث جميعهم وأئمة الـ فتوى وأصل حقائق العرفان

العارفون بربهم ونبـــيهم ومراتب الأعمال في الرجحان
صوفية سنية نبوية ليسوا أولي شطح ولا هذيان
هذا كلامهمُ لدينا حـــاضر من غير ما كذب ولا كتمان
فاقبل حوالة من أحال عليهم هم أملياؤهمُ أولو إمكان

أي : إن كلام المذكورين لدينا حاضر ، وقد أحلنا كم عليه ، فاقبل أيها المحال الحوالة ، كما قال ﷺ «من أحيل على مليء فليتبع »

فاذا بعثنا غارة من أخريا ت العسكر المنصور بالقرآن
طحنتكم طحن الرحى للحب حتـــــى صرتم كالبعر في القيعان
أنى يقاوم ذا العساكر طمطم أو تنكلوشا أو أخو اليونان

طمطم وتنكلوشا من فلاسفة الهند

أعني أرسطو عابد الأوثان أو ذاك الكفور معلم الألحان
ذاك المعلم أولاً للحرف والثـــــاني لصوت بئست العلمان
هذا أساس الفسق والحرف الذي وضعوا أساس الكفر والهذيان

يعني أن أرسطو هو معلم الحرف ، والمراد به المنطق ، لأنه أول من وضع التعاليم المنطقة ، والمعلم الثاني هو الفارابي ، وهو محمد بن محمد أبو نصر الفارابي التركي الفيلسوف ، وكان من أعلم الناس بالموسيقى ، بحيث كان يتوصل بصناعته الى التأثير في الحـــاضرين من مستمعيه إن شاء حرك مايبكي ، أو مايضحك ، أو ماينوم . وكان حاذقاً في الفلسفة ، ومن كتبه تفقه ابن سينا . وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني ، وتخصيص المعاد للأرواح العـالمة

لا الجاهلة . وله مذاهب في ذلك تخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ، فعليه ان مات على ذلك لعنة رب العالمين . وقد كانت وفاته بدمشق فيما قاله ابن الأثير في « كامله » في سنة ٣٣٩ .

أو ذلك المخدوع حامل راية الـ ... لحاد ذاك خليفة الشيطان
أعني ابن سينا ذلك المحلول من ... أديان أهل الأرض ذا الكفران
وكذا نصير الشرك في أتباعه ... أعداء رسل الله والإيمان
نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم ... وغزوا جيوش الدين والقرآن
فجرى على الاسلام أعظم محنة ... لم تجر قط بسالف الأزمان
أو جعد أوجهم وأتباع لهم ... هم أمة التعطيل والبهتان
أو حفص أو بشر أو النظّام ذا ... ك مقدم الفساق والمجـــان
والجعفران كذاك شيطان ويد ... عى الطاق لاحييت من شيطان
وكذلك الشحام والعلاف والـــ ... ـنجار أهل الجهل بالقرآن
والله ما في القوم شخص رافع ... بالوحي رأساً بل برأي فلان
وخيار عسكركم فذاك الأشعري ... القرم ذاك مقدم الفرسان
لكنكم والله ما أنتم على ... إثباته والحق ذو برهـــان
هو قال إن الله فوق العرش واســـ ... ـتولى مقالة كل ذي بهتان
في كتبه طراً وقرر قول ذي الـــ ... ـإثبات تقريراً عظيم الشان

لكنكم أكفرتموه وقلتمم من قال هذا فهو ذو كفران
فخيار عسكركم فأنتم منهم برآء إذ قربوا من الإيمان

تقدمت ترجمة ابن سينا ، والنصير الطوسي ، والجعفران : هما جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب ، وحفص : هو حفص الفرد الذي كان يناظر الشافعي ، وهو من تلاميذ حسين النجار ، وبشر هو ابن غياث المريسي ، والنظام هو ابراهيم بن سيار النظام ، وشيطان الطاق هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان الكوفي المعتزلي الشيعي الصيرفي المعروف بشيطان الطاق من أجل أنه كان صيرفياً بطاق المحامل من بغداد ، فاختلف هو وصيرفي في نقد درهم فغلبه ، فقال متبجحاً أنا شيطان الطاق ، فغلب عليه هذا الاسم ، والرافضة تنتحله وتسميه ميمون الطاق ، وله قضية مع أبي حنيفة رحمه الله ، وله شعر جيد . قال بشار بن برد : شيطان الطاق أشعر مني ، ومذهبه أن الامامة لم تزل الى موسى بن جعفر الصادق ، فلما مات موسى قطع الامامة ، ووافق هشام ابن الحكم في قوله : ان الله تعالى يعلم الاشياء بعد وقوعها ، ولا يعلم أنها ستقع ، وزعم أن الله تعالى على صورة الانسان ، لقوله عليه السلام : « إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن »[1] ليس بجسم . وله كتب عديدة ، منها

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن ابي عاصم في السنه ، والطبراني من حديث ابن عمر ، وأعله بعضهم. وقال بعضهم : المراد بالصورة الصفة ، والمعنى إن الله خلق آدم على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك

والذي في الصحيحين عن ابي هريرة : « إن الله خلق آدم على صورته » اي على صورة آدم التي كان عليها من مبدإ فطرته الى موته ، لم تتفاوت قامته ، ولم تتغير هيئته ، بخلاف بنيه ، فان كلاً منهم يكون نطفة ثم علقة ثم عظاماً . . . الخ

والحديث مخرج مخرج الزجر والتهويل ، لوروده عقب قوله: « لا تقولوا قبح الله وجهك ، فان الله خلق آدم على صورته » اي على صورة هذا الوجه المقبح .

كتاب « افعل لما فعلت » و كتاب « افعل لاتفعل » وعنده أن كبار الفرق أربعة : القدرية ، والخوارج ، والعامة ، والشيعة ، فالناجي في الآخرة من الفرق الشيعة . ومن رأيه ورأي هشام الامساك عن الكلام في الله تعالى ، بقوله تعالى . (وأن الى ربك المنتهى) النجم : ٤٢ أي اذا بلغ الكلام الى الله تعالى فأمسكوا . قالا : ولذلك أمسكنا عن القول في الله ، والتفكير فيه . وقيل له : ويحك أما استحيت ؟ أما اتقيت الله تعالى أن تقول في كتاب الامامة : إن الله لم يقل قط في القرآن (ثاني اثنين اذ هما في الغار) التوبة : ٤٠ فضحك طويلاً . وكانت وفاته في حدود الثمانين ومائة . ومن شعره

ولا تكن في حب الأخلاء مفرطاً وإن أنت أبغضت البغيض فأجمل
فإنك لا تدري متى أنت مبغض صديقك أو تعذر عدوك فاعقل

وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العـــلاف . والنجار هو الحسين بن محمد النجار .

قوله : القرم : السيد . أصله فحل الابل ، قال الخطابي : معناه المقدم في المعرفة بالأمور والرأي

وقوله : لكنكم كفرتموه الخ . هذا تكفير باللزوم . أي لأنهم كفروا من قال بهذا القول .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذي العساكر قد تلاقت جهرة ودنا القتال وصيح بالأقران
صفوا الجيوش وعبئوها وابرزوا للحرب واقتربوا من الفرسان

فهمُ الى لقياكم بالشوق كي يوفوا بنذرهم من القربان
ولهم اليكم شوق ذي قرم فما يشفيه غير موائد اللحمان

قال في « القاموس » : القرم محركة شده شهوة اللحم ، كثر حتى قيل في الشوق الى الحبيب .

تباً لكم لو تعقلون لكنتمُ خلف الخدور كأضعف النسوان
من أين أنتم والحديث وأهله والوحي والمعقول بالبرهان
ماعندكم الا الدعاوي والشكا وي أو شهادات على البهتان
هذا الذي والله نلنا منكمُ في الحرب إذ يتقابل الصفان
والله ماجئتم بقال الله أو قال الرسول ونحن في الميدان
إلا بجعجعة وفرقعة وغمغمة وقعقعة بكل شنان
ويحق ذاك لكم وأنتم أهله أنتم بحاصلكم أولو عرفان
وبحقكم تحموا مناصبكم وان تحموا مآكلكم بكل سنان
وبحقنا نحمي الهدى ونذب عن سنن الرسول ومقتضى القرآن
قبح الإله مناصباً ومآكلاً قامت على العدوان والطغيان
والله لو جئتم بقال الله أو قال الرسول كفعل ذي الإيمان
كنا لكم شاويش تعظيم وإجـــلال كشاويش لذي سلطان
لكن هجرتم ذا وجئتم بدعة وأردتم التعظيم بالبهتان

فصل

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فلان

كلا ولا جحد الصفات لربنا في قالب التنزيه والسبحان

كلا ولا نفي العلو لفاطر الـ أكوان فوق جميع ذي الأكوان

كلا ولا عزل النصوص وانها ليست تفيد حقائق الإيمان

إذ لا تفيدكم يقيناً لا ولا علماً فقد عزلت عن الإيقان

والعلم عندكم ينال بغيرها بزبالة الأفكار والأذهان

قال في « القاموس » : الزبل بالكسر ، وكأمير : السرقين ، والزبلة بضم الباء : ملقاه وموضعه . وزبل زرعه يزبله : سمده ، وككتاب : ما تحمله النخلة

سميتموه قواطعاً عقلية وهي الظواهر حاملات معان

أي إنكم سميتم ما وضعتموه من الفعليات قواطع عقلية بزعمكم ، وأما الكتاب والسنة فهي أدلة لفظية محتملة لمعان ، وهي الاحتمالات التسعة أو العشرة ، وقد تقدمت ، فلذلك لا تفيد اليقين

كلا ولا إحصاء آراء الرجا ل وضبطها بالحصر والحسبان